رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (2378) السنة التاسعة
الاحد (29) كانون الثاني 2012

أوراق

ملحق يعني بآخر الاصدارات الحديثة في العالم يصدر عن مؤسسة

المهاتما غاندي
حياة وجهاد

الأعمال الشعرية الكاملة لبودلير

كتاب تعرضت مؤلفاتهم للحظر

لغز رجل حكم مصر ثلاثين سنة

صاحب الميراث نشر ١٠٠ ألف نسخة على حسابه

«الرواية الخيالية» تحرّك صناعة النشر

اشترى لنفسه نوعاً نادراً من السيوف مصنوعاً من الفولاذ الدمشقي المشهور من النوع الذي يقتنيه جامعو التحف، وذلك بعد إنجازه آخر كتبه، قائلاً إن «كل كاتب قصص خيالية يستحق أن يكون لديه سيف جيد»، بيد أن كريستوفر باولييني لن يحتاج إلى الدخول في معركة للانتصار في حرب مبيعات الكتب، عندما يصل مؤلفه الأخير ضمن سلسلة «الميراث» الروائية إلى أرفف المكتبات.

المكتبات تتوقع أن تتحول رواية «الميراث»، التي تعد الجزء الأخير في تلك السلسلة الرباعية من تأليف الروائي الأميركي البالغ من العمر ٢٧ عاماً، إلى أحد أكثر الأعمال رواجاً في هذا العام.

وكانت سلسلة مكتبات ووتر ستونز باعت آلاف النسخ من الكتاب مقدماً، مما جعله من أكثر الكتب التي حققت مبيعات مسبقة قبل الصدور الرسمي بالنسبة للكتب الموجهة إلى الصغار، وذلك منذ صدور الجزء الأخير في سلسلة هاري بوتر في عام ٢٠٠٧.

ليس ضماناً

يقول باولييني إنه «جدّ سعيد ويشعر بالذهول والفخر»، لأن القراء من جميع الأعمار، ممن انتظروا ثلاث سنوات منذ صدور آخر كتبه، تحمسوا للكتاب. وأضاف «إنني منبهر بالقصة، ولكن ذلك لا يعتبر البتة ضمانة بان الاخرين سوف يكون لديهم الشعور ذاته».

وهو يأمل ان يجد محبو كتبه نهاية هذه السلسلة «مرضية ومدهشة في الوقت ذاته».

إيراغون والتنين

وتواصل رواية «الميراث» متابعة مغامرات ايراغون والتنين سافيرا التابع له، واستمرارهما في التوغل داخل اراضي العدو قاصدين الملك الشرير غالبا تروكس. والاجزاء الثلاثة الاولى في هذه السلسلة الخيالية الخرافية بيع منها ٢٥ مليون نسخة في جميع انحاء العالم. وهو ما يعتبر انجازا باهرا بالنسبة لمؤلف نشر على حسابه مائة الف نسخة من كتابه الاول «ايراغون» في عام ٢٠٠١.

وكان باولييني قد كتب اول مسودة له وهو في الخامسة عشرة من عمره. وشرع في وقت لاحق في جولة عبر الولايات المختلفة للترويج لكتابه. وقد اوصى الروائي الاميركي كارل هياسين دار نشر الفريد نوبف بنشره. واصدرته الدار في عام ٢٠٠٣. كما صدرت رواية «ايراغون» في بريطانيا في عام ٢٠٠٤. وعرض فيلم مستوحى منها بعد عامين من ذلك.

دراسة بالمراسلة

والكاتب الذي تلقى دراسته في بيت الاسرة تخرج من المدرسة الثانوية وهو في الخامسة عشرة من عمره من خلال الدراسة بالمراسلة. وهو ممتن لوالديه لتوفيرهما بيئة مناسبة اتاحت له متابعة اهتماماته. ويقول «في هذه الايام تسير الأمور بطريقة لا تجعل الإنسان قادراً على الحصول على وظيفة أو مهنة قبل بلوغه منتصف العشرينات من عمره، ان لم يكن بعد ذلك، ولكن تاريخياً لم تكن الأمور دائماً تسير على هذا الوجه.

فعندما تكون مهتماً بأمر ما أو لديك ميل تجاه مهنة معينة يتم تدريبك عليها منذ الصغر على يد معلم ماهر. اعتقد انه يجب ان يشيع هذا الأمر، لقد احببت الكتابة والرسم واندفعت مباشرة في ممارسة الكتابة والرسم، وانتهى بي الأمر وقد امضيت ما بين خمسة الى ثمانية أعوام أتدرب على مهنتي ومهاراتي قبل العديدين من افراد جيلي».

في المكتبة المحلية

أمضى باولييني وقتاً طويلاً في المكتبة المحلية لمدينته في الصغر، وقال ان الدعم الذي حظي به من الناس عامة، ومكتبات المدارس الحكومية والخاصة ساعدته في إعداد نفسه لنشر كتابه «ايراغون» على نفقته الخاصة. ويقول انه «عندما تقع الكارثة الكبرى، فإن المكتبات هي التي سوف تنقذ الحضارة»، وذلك في إشارة إلى تخفيض انفاق الدولة على المكتبات العامة في بريطانيا. واضاف «إنها مستودع المعرفة، وعلى الرغم من حبي للكمبيوتر وأجهزة القراءة الالكترونية، وغيرها من الأجهزة، فإنه إذا هبت عاصفة شمسية أو نبضات كهرومغناطيسية، أو أي شيء من هذا القبيل، فإن ذلك سيؤدي إلى إزالة كل السجلات الرقمية». وبالتالي، فإن المكتبات تظل ذات اهمية كبرى. وان التعليم والمكتبات تعد «استثمارات» في المجتمع، والمستقبل. وبعد ١٣ عاما من العمل في مجال تأليف الروايات الخيالية الخرافية، يأمل باولينو ان يحاول معالجة انواع أدبية أخرى، وربما الشروع في تأليف رواية من روايات الخيال العلمي. كما انه تعاون مع شقيقته الصغرى انجيلا، وهي التي اوحت له بشخصية عالمة النبات التي تحمل الاسم ذاته، في سلسلة روايات الميراث، في مشروع «قد يرى النور قريبا جدا».

قدرات خيالية

غير ان قدراته الخيالية هي التي تثير حماسة مكتبات بيع الكتب لأعماله وترقب صدورها. ويقول جون هاولز المتحدث باسم سلسلة مكتبات ووترستونز، ان باولين يثير الاهتمام، لأنه بينما الجميع سمع بالروائية رولينغ مؤلفة سلسلة هاري بوتر وستيفاني ماير كاتبة سلسلة روايات «الشفق» التي تتناول عالم مصاصي الدماء التي تحولت إلى ظاهرة، إلا ان باولين ظل بعيداً عن انظار عدد من الناس غير ان «الميراث» ستكون أحد أهم الكتب في عام ٢٠١١.

حماسة مدهشة

وتقول فيونا كنيدي صاحبة مكتبة بيتسهانغر في غرب لندن، انها اصيبت «بدهشة بالغة» بمستوى الاهتمام الذي اثارته تلك الرواية. واضافت ان لدى باولين «متابعين متحمسين» لاعماله، وان يوم اطلاق كتابه تحول إلى مناسبة.

واستطردت كنيدي، تقول «ان الكتب مثل هذا الكتاب تجعل الناس ينذهبون إلى مكتبات بيع الكتب، وان ذلك سيلفت انظار الرأي العام، لأنه يجذب انتباه وسائل الإعلام. وهذا أمر جيد بالنسبة إلى الكتب بصفة عامة».

عن / إندبندنت

رواية «الوصمة البشرية» في ترجمة عربية

صدرت، في العاصمة المصرية القاهرة، أخيرًا، الترجمة العربية لرواية "الوصمة البشرية" (The Human Stain): للروائي الأميركي فيليب روث، عن "الهيئة المصرية العامة للكتاب" – سلسلة الجوائز، إذ ترجمتها الشاعرة المصرية فاطمة ناعوت.

تقع الرواية، في نسختها العربية في ٦٤٨ صفحة من القطع المتوسط. وتتناول حبكاتها ومعالجاتها، قصة حياة أستاذ جامعي أميركي يُدرّس الكلاسيكيات الإغريقية، أطاحت بحياته قضية تمييز عنصري رفعها ضده اثنين من تلاميذه.

يذكر انه حصدت الرواية، التي تصفها المترجمة في مقدمتها بـ"الرواية الداهية لروائي داهية"، جائزتي: فوكنر الأميركية، سميث البريطانية. وتتعدد مستويات الحوار في الرواية، فنجد اللغة العالية الرصينة، حين يأتي الحديثُ على لسان أستاذ الجامعة "كولمن"، وزملائه، بينما ينحدر الحديثُ حتى يصل إلى السوقية المبتذلة، حين يأتي على لسان حبيبته عاملة النظافة "فونيا"، أو على لسان أحد رفاقها من الحوشة السوقيين. كذلك يتبدل الحوارُ بين الفصحى الكلاسيكية التي تقترب من لغة شكسبير وشوسر، وديكينز، وبين الدارجة العامية الأميركية، أو لهجة اليانكي.

الأعمال الشعرية الكاملة لبودلير

صدرت عن دار الشروق الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر الفرنسي الشهير شارل بودلير في في ٩٢٠ صفحة من القطع الكبير، قام بترجمتها الشاعر المصري رفعت سلام، وتتصدرها مقدمتان لرفعت سلام أولها بعنوان «شاعر الشر الجميل»، ويرصد فيها تناقضات حياة بودلير مع ظروفه العامة والخاصة في منتصف القرن التاسع عشر، خلال إنجازه لجذور الحداثة الشعرية الفرنسية والأوروبية، والمرتكزات الأساسية لشعريته المتجاوزة لجميع المدارس الشعرية السابقة عليه والمتزامنة معه، وتأسيسه للحداثة الشعرية في فرنسا وأوروبا، وملامح هذه الحداثة وتجلياتها في نصوصه ورؤيته النقدية.

بينما رصد في الثانية سيرة حياة بودلير تأريخياً، بالتسلسل الزمني، متوقفا عند أهم محطات حياته الشخصية والشعرية والثقافية، وأزماته، وأهم أعماله الشعرية ورسائله الكاشفة لعلاقاته ورؤاه الحياتية والفكرية.

فضلاً عن ذلك، هناك مقالة بول فاليري الشهيرة «موقف بودلير» التي يرصد فيها أهمية بودلير القصوى في الأدب الفرنسي، والتحدي الذي واجهه في تأسيس حداثة شعرية مفارقة لزمنه، وكيف استطاع إنجاز دوره الحاسم خلال سنوات إبداعه الشعري المحدودة، بالمقارنة مع فيكتور هوغو، التي ترجمها سلام ووضعها كمقدمة ثالثة للأعمال.

وتتخلل المقدمات ألبومات صور بودلير: وجوه بودلير منذ بداياته إلى أعوامه الأخيرة، رسوم بودلير، رسوم كبار الفنانين لبودلير.

ويبدأ المتن الشعري بقصائد ديوان «أزهار الشر» في طبعته الثانية، التي أشرف بودلير بنفسه على إصدارها عام ١٨٦١. وهي الطبعة الأخيرة التي صدرت في حياته. بعده، يأتي ديوان «البقايا» الذي أصدره بودلير في بروكسيل عام ١٨٦٦، ويتضمن القصائد المحذوفة من «أزهار الشر» بالحكم القضائي ضد الديوان - التي لم تتضمنها الطبعة الثانية - فضلا عن القصائد الجديدة التي كتبها بودلير في ما بعد الطبعة الأولى من الديوان الشهير. وتلي ديوان «البقايا» القصائد الإضافية المستمدة من الطبعة الثالثة من «أزهار الشر» التي طبعت بعد وفاة بودلير عام ١٨٦٩، تليها قصائد متفرقة تنتمي غالباً إلى فترة شباب وبدايات بودلير الشعرية.

ويتضمن المتن الشعري كذلك مجموعة القصائد «الهجائية» اللاذعة التي كتبها بودلير عن بلجيكا وأهلها، عقب خيبة أمله في رحلته إلى هناك.

كما تتضمن الترجمة النص الكامل لديوان «سأم باريس»، الذي يضم قصائد النثر التي كتبها بودلير، وفقاً للترتيب الذي وضعه الشاعر قبيل رحيله، من دون أن يتسع له الوقت لإصداره بنفسه، مع مقدمة تاريخية للديوان كتبها المترجم.

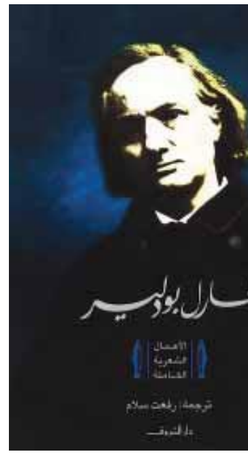

وثائق مهمة

وفي ما يلي المتن الشعري، يتضمن الكتاب عددا من الملاحق والوثائق المهمة: مشروعات مقدمة «أزهار الشر»، مشروعات خاتمة «أزهار الشر» التي كتبها بودلير، من دون أن يستقر على الصياغة النهائية لها فضلا عن الوثائق الكاملة لمحاكمة بودلير عن ديوانه «أزهار الشر». وغيرها من الملاحق الهامة إضافة إلى قاموس للأعلام والمصطلحات المتعلقة بزمن بودلير.

قصة مجموعة ،(The Buddha in the Attic) تتبّع الرواية الثانية البارعة للكاتبة الأميركية اليابانية الأصل جولي أوتسوكا ، (البوذا في العليّة) من النساء اليابانيات القادمات إلى أميركا، في أوائل القرن العشرين، كعرائس حسب الطلب بالبريد، و خيبة آمالهن في ما لقينه من خدع و متاعب شخصية محبطة في أميركا. و تتحدث المؤلفة هنا مع رئيس التحرير المساعد باتريك رايان حول منافع الكتابة بضمير الشخص الأول الجمع " نحن "، و أمور أخرى تتعلق بالرواية و أسلوبها الأدبي

أوتسوكا.. والكتابة وفقاً لإيقاع اللغة

ترجمة / عادل العامل

× هل تمرين أن رواية (بوذا في العليّة) لا تنطوي على أية شخصية مركزية رئيسة، أم أن فيها شخصيات رئيسة مركزية كثيرة؟

×× أرى أنها تنطوي على شخصية رئيسة مركزية واحدة، هي كل واحد : " نحن " الجمعي. فلا " أنا " واحد أكثر أهمية من أي شخص آخر. أما بالنسبة لمنافع الكتابة بصيغة " نحن "، كما لاحظتَ في عالم هؤلاء العرائس المطلوبات بالبريد، فتلك تقنية أسلوبية نادراً ما يستخدمها الروائيون. فاستخدام هذه الصيغة سمح لي بسرد قصة أكبر كثيراً مما سأكون قادرةً على سردها بطريقة أخرى. في الأول حاولتُ قول كل جملة تعطي المرء نافذة موجزة على حياة شخص ما ـ ذلك يشبه التقاط لمحة خاطفة عن بيْت شخص ما من نافذة قطار ... القصة من وجهة نظَر عروس صورة واحدة، لكن هذه الطريقة بدت محدِّدة و ضيقة جداً. و كنت، في بحثي، قد صادفتُ الكثير من القصص الفاتنة، وأردتُ أن أسردها جميعاً. واستخدامي صيغة " نحن " سمح لي بأن أنسجها كلها معاً. إنها صيغة وسيعة جداً و قابلة للتوسع بشكل غير محدود ـ وكل جملة تعطيك نافذة موجزة على حياة شخص، شبيهة بلمحة إلى منزل شخص ما منَ القطار، ثم نمضي في طريقنا.

كما أنه، و لكون اليابان ثقافة جماعة موجهة جداً (و قد قال لي أبي، الذي هاجر من اليابان بعد الحرب العالمية الثانية إن اليابان نقيض أميركا، و كان يعني أن التأكيد هنا على الفرد)، فذلك يجعل من الكلام على عرائس الصورة ككينونة جماعية أمراً مفهوماً.

× هل يمكنك التحدث قليلاً عن الأمل الذي تنطلق به هؤلاء النسوة اليابانيات، والخديعة التي يواجهنها، وكيف يشكّل ذلك سياق حيواتهن؟

×× لقد انطلق معظمهن بآمال سامية جداً . توقّعن الزواج من رجال شباب وأثرياء وكرماء (كما أظهرته صور أزواج المستقبل و رسائلهم) و العيش في حياة من التبطل و الراحة. أو، إذا توقعن أن يشتغلن، كن يفكّرن عندئذ بأنهن سيكونن، بعد سنوات عديدة، قادرات على ادّخار ما يكفي من المال للإبحار عائدات إلى اليابان وقضاء بقية أيامهن " مع قطةٍ في الحضن ومروحة في اليد ".

لكن الحياة في أميركا لم تكن كما توقّعن. كانت خدعة بعد أخرى. و كان بعضهن قد خدعن أزواجهن، الذين كانوا قد كذبوا عليهن بشأن عمرهم و وضعهم المالي. وفي غضون أيام من وصولهن، وجدت نساء كثيرات منهن أنفسهن يجنين الفراولة في الحقول، أو يعشن في معسكرات عمل للمهاجرين أو يشتغلن خادمات لنساء البيض في المدن.

(من ناحية أخرى، فإن قلّةً من هؤلاء النساء قد خدعن أزواجهن أيضا. وكان لهن " ماض " في اليابان ـ ربما كانت لهن علاقة غرامية، أو أنجبن طفلاً غير شرعي، أو ربما كنّ مجرد أرامل لا تواتيهن فرصة الزواج ثانية إن بقين في قريتهن. ولنتذكر، أن أول سطر في الكتاب يقول "على المركب كنا في معظمنا عذارى").

وبعدها غدرت بهن أميركا، أو وعد أميركا ـ كن محتقرات بسبب عنصرهن، ومشكوكاً في كونهن خائنات وأُرسلن إلى المخيمات. وقد أدركت هؤلاء النسوة ـ ولم يكن لدى معظمهن فكرة عن الإجحاف الذي سيواجهنه في أميركا ـ أنه لن يُسمح لهن إلا إنجاز الكثير جداً في حيواتهن الخاصة، ولهذا علّقن كل آمالهن على حيوات أطفالهن. وهو عبء هائل، إن كنتَ واحداً من الأطفال.

× في هذه الرواية و في سابقتها، وفي بعض كتاباتك الأقصر، غالباً ما تكتبين مجاميع من الجمل تبدأ بصيغة مكررة متماثلة ثم تمضي إلى حيث تحتاج المضيّ إليه. إن نتيجة قراءتي لعملك ـ وربما بالنسبة لكثيرين غيري من القراء ـ هي نوع من التنويم المغناطيسي أو التأمل؛ من المستحيل ألا ينسحب الواحد داخلها، يغوص فيها، يُغرى بها. فهل أنت مدركة لاستخدامك على نحو ستراتيجي لبُنى الجمل التكرارية؟ أم رُبما ذلك أنك منجرّة داخل إيقاع الكلمات التي تدوّنينها؟ أم أنه شيءٌ ما يحدث ... هكذا؟

×× نوع من التنويم المغناطيسي أو التأمل، أحب ذلك. لقد كنت مسكونةً بإيقاع اللغة وأنا أكتب هذه الرواية. وكنت أقرأ بشكل مستمر جملي بصوت عال، وكان بوسعي أن أسمع أين تقع النبرات. وغالبا ما كنت أسمع النموذج الإيقاعي للكلمة القادمة التي كنت أريد أن أكتبها قبل أن أعرف الكلمات المضبوطة التي تلائم ذلك الإيقاع. وأحياناً كنت أجد نفسي أقوم بأشياء مثل البحث عن البلدة ذات المقاطع الثلاثة في كاليفورنيا حيث لديهم هناك عمال مهاجرون يعملون في بساتين الخوخ ... فبلدة من مقطعين ببساتين برتقال لن تكون نافعة. ومعظم كتابتي حدسية intuitive جداً وتقع تحت صنف" شيء ما يحدث هكذا"!

عن / Granta

"عن كونان دويل"

بقلم ف. كورد فوكمر
ترجمة: هنادي زنجم

يوجه ناقد الواشنطن بوست الأدبي مايكل ديردا رسالة اعجاب إلى آرثر كونان دويل الكاتب الذي غير حياته. "كلا مستر هولمز. تعود آثار الأقدام إلى كلب صيد عملاق" هل هناك أحد لايشعر بقشعريرة عند سماع هذه الكلمات؟ هذا هو ما شعر به مايكل ديردا عندما كان بسن العاشرة و قرأ لأول مرة "كلب باسكرفيلز" لآرثر كونان دويل. لم يعرف آنذاك بأن هذه التجربة ستدفعه باتجاه العمل الذي سيمتهنه في حياته. يقف هذا الناقد وقفة احترام لكاتب هذه الكلمات في كتابه الجديد المعنون "عن كونان دويل أو فن كتابة القصة". ديردا هو ناقد أدبي يعمل في الواشنطن بوست وحائز على جائزة البوليتزر وصاحب مجموعة مقالات مثل "قراءات" و"ملزم للإرضاء" و"كتاب تلو كتاب" و"كلاسيكيات ممتعة" بالإضافة إلى مذكرات بعنوان "كتاب مفتوح". يقول ديردا عن "كلب باسكرفيلز" بأنه "أول كتاب للكبار أقرأه وقد غير حياتي" ..ولهذا ألف كتابه "عن كونان دويل" متضمناً سيرة ذاتية ورسالة تقدير لقصص هولمز وعرضاً ثاقباً لأعمال أخرى كتبها دويل وجماعة "شارع بيكر" التي كان الكاتب عضواً فيها. الكتاب أيضاً يقدم سيرة ذاتية لتجربة ديردا كإنسان شاب مع القراءة. كان "دويل" مبتكر شخصية شارلوك هولمز شخصاً عظيماً بكل المقاييس وتدرب على يد طبيب، فتخصص لاحقاً في طب العيون. ومن المثير للاهتمام إن بعضاً من الطرق التي يتبعها هولمز تعتمد على الطرق التحليلية التي اتبعها جوزيف بيل، أحد أساتذة دويل في الحياة الحقيقية. بدأ دويل بالكتابة أثناء ممارسته مهنة الطب فكتب روايات تاريخية مثل "مايكا كلارك" و"الشركة البيضاء". ولكن بعد نشر قصص هولمز أصبح واحدا من أشهر كتّاب القصة في البلدان الناطقة باللغة الإنجليزية فتخلى بعد ذلك عن الطب. ومع الوقت بدأ "دويل" يستخف بقصص المحقق العظيم ظناً منه بأنها تافهة. شعر "دويل" بأن الكتابة القصصية يجب أن تكون تعليمية ولها وزن أخلاقي كبير، وقال حول ذلك : "إن أفضل عمل أدبي هو الذي يترك القارئ أفضل حالاً بعد قراءته". وقد شكلت الحبكات التي وفرها دويل للمحقق في حل الجرائم عائقاً أمام الهدف الذي آمن به. فقام دويل بقتل هولمز في الصراع المشهور مع بروفيسور موريارتي في شلالات رايشنباخ في قصة "المشكلة الأخيرة" ولكن الصخب الذي أحدثه القراء لإرجاع هولمز جعله يعيده إلى الحياة من جديد. أصبح كل ما يكتبه "دويل" يسيراً في ظل روعة قصص هولمز. مع هذا يكتب ديردا عن ثلاثة كتب أخرى لدويل، فقد كتب دويل قصص الأشباح وقصص ماوراء الطبيعة وقصص الخيال العلمي والخيال التاريخي. يعتبر ديردا "الشركة البيضاء" و"استغلال بريجادير جيرارد" روايات رومانسية تاريخية لاتقل روعة إلا عن قصص دوماس وووللتر سكوت. إن كتاب ديردا ينطوي على الاعجاب بطريقة دويل في الحبك والتموج النثري وبالتالي فإنه يعلي من شأن دويل ككاتب متقن الاسلوب. كما يقدمه مثقفاً عاماً بالمعنى الحديث أي أنه كان كاتباً استغل قلمه من أجل قضايا مختلفة من ضمنها قانون حرية الطلاق. ولكن ديردا يغض النظر عن ايمان دويل بالروحانية والقصص الخيالية بقوله "لأحد يتسم بالكمال". ولكن قصص هولمز هي التي دفعت ديردا ودفعتنا للالتفات إلى أعمال آرثر كونان دويل في المقام الأول مع العلم إنه كان لهولمز ظهور سابق في "أوغست دوبن" "لادغار الان بو" الأمر الذي أقره دويل فكانت قصص الجرائم التي كتبها دويل بعد "بو" تعد تكريماً للأستاذ "بو" او تمرداً عليه. ولولا شارلوك هولمز لما كانت هناك شخصية الأب براون ولا بيتر ومسي ولاهيركيول بوارت ولانيرو وولف وأتجرأ بالقول بإنه لما كان هناك فيليب مارلو. ولما كانت هناك أيضا جماعة شارع بيكر ومئات النوادي المتعلقة بشارلك هولمز والتي تتألف كل واحدة منها من جمهور متحمس لهولمز.

كانت جماعة شارع بيكر التي انضم اليها ديردا هي مجموعة من الاشخاص الهواة والمعجبين والدراسين لشارلوك هولمز ويؤلفون مختلف شرائح المجتمع فهم يعاملون هولمز وكأنه شخص حقيقي. يلتقون عدة مرات في السنة ليقدموا أبحاثاً جدية وخطباً فكاهية ويؤلفون قصصاً عن هولمز. كتب ديردا نفسه قصة حيوية مأخوذة من احدى قصص هولمز والتي ضمها إلى كتابه..

كان لقاء ديردا الأول مع شخصية هولمز القصصية هو بداية لقصة رومانسية عظيمة. يصف ديردا النشوة التي غيرت حياته والتي ولدتها القراءة عندما كان طفلاً ويعيد احياءها الآن في كتابه "عن كونان دويل" الذي يعد احتفالاً بهذه التجربة التي مر بها ديردا ويشكل دعوة للالتفات مرة أخرى الى عالم المصابيح القديمة والعربات التي تجرها الخيول حيث كانت تجري "اللعبة على أصولها".

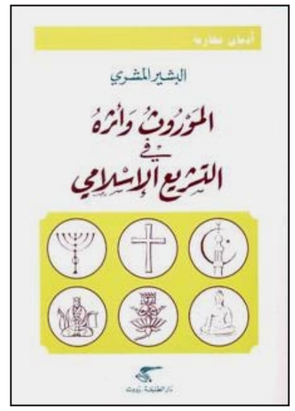

دأب المؤرخون على وصم الحقبة التاريخية التي سبقت ظهور الاسلام بالتخلف والجاهلية القريبة من البربرية والانحلال، ولكن البحث التاريخي يشير الى تبلور ملامح فكرية شهدتها الجزيرة العربية ومنذ بواكير القرن الخامس الميلادي،ونضوج أدوات الاشتغال بالماورائيات المعروفة آنذاك مقترنة بمنظومة أنساق قيمية فرضها الواقع الجزيري وصراع الانسان من اجل البقاء في بيئة قد شحت فيها موارد الحياة المستقرة،اما المجتمع المكي التجاري فكان يعيش تحت مؤثرات التنوع الديني والفكري والفلسفي الذي تعددت مشاربه من فارسية ويونانية وهندية ويمنية، وتراث الديانة اليهودية والمسيحية والزرادشتية،وكان الموروث الرافدي على مرمى حجر منه على الرغم من قلة المكيين الذين يجيدون فك السطور، بما يترك مساحة واسعة للثقافة الشفاهية والتواصل المباشر بينهم و بين المتلقين في المواسم الدينية المختلفة واقامة الاسواق العديدة.

الموروث واثره في التشريع الاسلامي

قراءة: كامل داود

أذن نحن هنا أمام أرض لا يحق لنا ان نقول انها كانت بلقعا حينما نثرت الديانة الاسلامية حباتها الاولى، بل كانت مهيئة للغرس الجديد،ولم يأت الاسلام من فراغ، فقد جاء القرآن الكريم ناقلا صورة صادقة للمجتمع الذي اطلق عليه "الجاهلية "على حد قول الدكتور طه حسين .

هذا ما تنبّه اليه البشير المشري في كتابه الموسوم "الموروث وأثره في التشريع الاسلامي "والصادر عن دار الطليعة ٢٠١٠، مؤكدا في مقدمة الكتاب على ان العرب قبل الاسلام لم يكونوا معزولين عن محيطهم الانساني في الشرق القديم وان الاسلام قد انتهل الكثير من النتاج الفكري الذي سبقه في الظهور، وقد اقتصر الكاتب على جانب واحد من الجوانب المتعددة في التشريع الاسلامي، وهو ما يتعلق بما يعرف اليوم قوانين الأحوال الشخصية ومضى بخطوات متزنة باحثا عن اصول تلك القوانين في الحضارات والأديان القديمة .

روافد التشريع الاسلامي

لقد حدد الكاتب اربعة من الروافد التي صبّت جزءاً من مياهها في النهر الجديد من خلال التقاقف بين الشعوب وهي:

١. الموروث الرافدي، وفيه كان السهم الاكبر للتشريعات البابلية ونصوص مسلة حمورابي تحديدا، ثم منظومة القوانين الاشورية، وقد اغفل الكاتب الإشارة إلى أثر السومريين، لاسيما ملحمة كلكامش .

٢. الموروث الكتابي: اعتمد المشري علم الأديان المقارن في البحث عن جذور التشريعات الكتابية (اليهودية والمسيحية) وحسب مواردها في آيات الأحكام.

٣. العرف الجاهلي : مضى المؤلف في سوق العديد من الأعراف القبلية التي استطاعت أن تفرض سلطتها على التشريعات الجديدة في الفترة التأسيسية وكان الرسول يتصرف وفق ما تقتضيه مصلحة الرسالة في ذلك الظرف ومن ذلك اقر أعرافا جاهلية لا تتعارض مع الإسلام لأن معاصريه شبوا عليها فترسخت في نفوسهم مثل "العقيقة وغيرها من الاعراف .(ص٢٧)

٤. سلطة الصحابة من جيل التأسيس : لقد كان للصحابة المواكبين لمرحلة التأسيس للتشريع الإسلامي سلطة واضحة في تحديد إتجاه بوصلة التشريع و كان الرسول الكريم (ص) يأخذ بمبدأ مصلحة الدين الجديد وتثبيت أسسه في المجتمع اليثربي.

مصادر التشريع:

١: القرآن: وهو بلا ريب مصدر التشريع الأول و يرى المؤلف في هذا الإطار ضرورة دراسة الظروف التي رافقت تحول القرآن من خطاب شفوي الى مصحف مكتوب من قبل المؤسسة الدينية الرسمية التي فرضها عثمان بعد حرق النسخ الاصلية، ثم يعود فيعرج على تأثير علوم القرآن على روح النضج التي تجلت في قول علي بن ابي طالب "وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق وانما ينطق به الرجال "وأفرزت القراءات المختلفة للقرآن الكريم صراعات سياسية طاحنة ما فتئت أن تتحول بين الفرق الإسلامية من صراع دموي بحت إلى صراع فكري (ص٣١)

٢: السنة: يرى البشري إن عمل الرسول الكريم هو عمل آني تقتضيه المصلحة وهو ما أراد به الحديث الشريف "لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن ومن كتب عني شيئا فليمحه وقد أدرك عليه الصلاة والسلام، وأستشرف نتائجه على مستقبل المجتمع والدولة الفتية،فما هي إلا عقود قليلة حتى ترانا نجد الاختلافات الفرقيّة و المذهبية قد عصفت بما يفترض انه أثر من الرسول في مجال العبادات فأستغلته كل فرقة او مذهب لصياغة هوية خاصة تميزها عن غيرها وبذلك كانت الاولوية للفرقة او للمذهب وعلى حساب الدين ناسية كل ذلك للرسول مدعية انه السنة الحقيقية، ففقدت هذه الأخبار المنسوبة للرسول الكثير من مصداقيتها ومن صفتها الشرعية (ص٢٧)

وطبقا لما أراده المؤلف من بيان للجذور الأولى للتشريع الإسلامي المتعلق بالأحوال الشخصية فقد جعل كتابه على قسمين:

القسم الاول : التشريع ما قبل الاسلام تناول في هذا القسم القوانين المتعلقة بالاسرة البابلية وتصورهم للعلاقة الجنسية ومنزلة المرأة ولباسها وزينتها والأسس الاجتماعية والطبقية لفرض الحجاب، وكما أسلفنا فأن شريعة حمورابي هي التي اعتمدت من بين التراث الرافدي للمقارنة، وساق المشري الكثير من تلك التشريعات التي وجدت لها مكانا في التشريع الاسلامي،فقد كان الزواج عند البابليين عقد يسبقه مهر من الزوج (هدية الزواج) وهو قريب من البيع والشراء، وان تعدد الزوجات مقيد بكون الزوجة عاقر او مريضة،وهو ما أباحه الإسلام إلى أربع ، وان الهدف من الزواج هو الانجاب لانه الوسيلة المثلى لبقاء النوع وان الموت في مجتمع قروي يعيش ثقافة المشافهة يؤدي الى امحاء المجال، فبعد ان كانت فترة الاسترقاق ثلاث سنوات عند البابليين والسومريين والأشوريين صارت ست سنوات عند العبرانيين وسبعا عند المسيح وان كانت العبودية عند المسيحيين ليست قضية اجتماعية تحتاج الى قوانين وتشريعات تنظمها وتعالجها انما هي إرادة ربانية، ويبرر المؤلف الموقف الذي تبناه الحواريون والرسل في تناول ظاهرة العبودية بخوفهم من رد فعل الامبراطورية الرومانية في ذلك العصر وان الكنيسة استمرت بهذه الرؤية حتى زمن متأخر نسبيا فقد كانت المسيحية تعتبر العبودية كالفقر والاوبئة عقابا الهيا وعلة للخطيئة .ص٩٥

مؤسسة الزواج قبل الإسلام

يقول المؤلف إن هناك عوامل مختلفة جعلت الجزيرة العربية فضاءا فسيحا وإن الحرب، والهجرات الداخلية و التجارة أفرزت عدة أنماط من النكاح قبل الإسلام منها نكاح البعولة المعروف، ونكاح الاستبضاع، ونكاح الرهط، والزنا (القافة) وهو من بقايا الأمومة، نكاح البدل وظل معروفا حتى فترة الرسالة (وهو ما عرضه عيينة بن حصن الفزاري على الرسول الكريم)، نكاح المقت وهو زواج زوجة الأب وكان معروفا قبل الإسلام (هاشم تزوج زوجة ابيه عبد مناف بن قصي) ص١٠٠

فيما انتقل نظام الأمومة من اليمن إلى الحجاز بعد خراب سد مأرب، وكان انتساب الأبناء إلى الأم قد عرف لصعوبة تمييز الأب البيولوجي، وقد صنفت النساء حسب درجات موقعهن الطبقي، وان تعدد الزوجات كان معروفا قبل الإسلام ، أما المهر فهو ما يقدم الى الوالدين ويختلف عن الصداق الذي يقدم إلى العروس ص١٠٥

واتضحت عندهم محددات المهر فكانت العذرية أهمها، وهي تختلف بأختلاف الشعوب وقد سادت العذرية في النظام البطريركي بشكل خاص،ومن محددات المهر الأخرى نوعية الزواج، وهل هو داخلي أم خارجي، والكفاءة في الانتساب، وقد تكون علاقة الرجل بالمرأة هي علاقة متعة ولذة،إلا أن نظام الزواج يدعم القبيلة بأكثر عدد من الاولاد ولذلك اوجدوا في نظامهم التبني والإستلحاق والحلف والولاء والجوار وكلها مصادر قوة للقبيلة والفرد على حد سواء،اما العدة فلم تكن معروفة في عصر ما قبل الاسلام .

ويلفت المشري إلى إن العربي تعامل مع الأنثى من زاويتين متناقضتين أوجدتا ابعادا سوسيولوجية راسخة ذات اصول مشرقية :

١. التشاؤم والوأد : وهما من بقايا أساطير الخلق في الشرق القديم .

٢. التأليه :وكان بتأثير ديانة الخصب التي جعلت الملائكة بنات الله.

لذا يرجع الكاتب وأد البنات إلى عمل يقصد به التقرب إلى الإله بما يحب من الاضاحي من البنات .

القسم الثاني التشريع في الاسلام

تناول البشير المشري في القسم الثاني من الكتاب الإحكام التي جاءت بها الشريعة الإسلامية،بعد ان استعرض الموروث المعروف منها في جزيرة العرب قبيل البعثة النبوية، فما يتعلق بقوانين الزواج،فقد كان نكاح البعولة الذي اقره الاسلام قد تسرب من الموروث الثقافي السامي الذي وصل العرب وان نكاح الإماء موجود عند كل الشعوب السامية،أما نكاح المقت فقد أنكرته الشرائع السابقة واقره العرف الجاهلي مما يبرز مساوقة الوحي للموروث الثقافي العربي في القرن السابع الميلادي،فيما يرى الكاتب إن تعدد الزوجات ظاهرة موجودة عند الساميين عدا المسيحيين وانها مرتبطة بإستقرار المجتمع وان الوحي لم يأمر بها ولكنه لم يعترض عليها، وليس من الغريب ان يكره المسلمون المرأة العقيم فهو جزء من الموروث البابلي والعبراني والجاهلي الشائع .

مشتركات التحريم بين اليهودية والاسلام.

لاحظ المؤلف إن قائمة المحرمات تطول كلما تقدم الزمن بالاديان، فبعد ان كانت ثلاثة نسوة من العهد البابلي، أمست خمسة عشر في العبرانية،وستة عشر في الاسلام بعد أضافة التحريم من الرضاعة الى قائمة المحارم ص١٦٣

وفي قضية التبني الشائكة،التي اوجدتها دوافع اجتماعية ابرزها وفاة الاطفال صغارا وحاجة القبيلة الى المقاتلين والعمال وكل ما من شانه تخليد مأثر القبيلة وأيامها في الذاكرة الجمعية عولجت تلك القضية على وفق فهم جديد هو ان ((مصلحة الرسالة تقتضي توفير الاستقرار النفسي للرسول حتى يتفرغ كليا لما بعث من اجله)) وعلى أثر ذلك حرم التبني في الاسلام ص١٦٩

الختان

ومضى المؤلف يكشف عن حفريات الطقوس المقدسة في الشريعة الإسلامية فالختان (تعميد)، وهو امتداد للقرابين الدموية التي كان يقدمها الانسان للآلهة في الديانات القديمة وقد وجد عند المصريين وعرب الجاهلية منذ زمن بعيد معضدا ذلك (د.جواد علي) بقوله هو طقس من طقوس عبور سيئاء ،وقد سكت القرآن الكريم عن الختان، ومارس العبرانيون ختان الأنثى بسبب غضب سارة على هاجر حسب قول الطبري وليس له وجود في العهد القديم، وكان معروفا قبل الإسلام، فقد عير سباع بن عبد العزى في غزوة أحد بأن امه ختانة وهناك أخبار عن الرسول الكريم يخفف من ختان النساء فهو بدعة عربية اقرها الإسلام لأسباب تتعلق بسوء ظن القريشيين بالمرأة .

الطلاق :

عبرت جميع الديانات عن كراهيتها للطلاق،ويعود الطلاق في الإسلام الى عاملين هما الموروث الثقافي كتابي وغير كتابي من جهة، والواقع الجزيري من جهة أخرى،فالمطلقة هي الناقة التي يحل عقالها وتطلق،ويلاحظ المؤلف غياب مفهوم الأسرة في مفاهيم الأحكام الشرعية الإسلامية و لم يعين المشرع بما يخلفه الطلاق من غياب لمفهوم الأسرة وما له من انعكاسات نفسية وسلبية، واشترطوا العرب قبل الإسلام على المطلقة لتعود لزوجها الأول ان تنكح زوجا آخر ويطلقها (المحلل) وقد اقتضى العرف أن يكون المحلل عنينا أو محجوبا،في المقابل اشترط الرسول أن يذوق الزوجان (عسيلة بعضهما) .

وأخذنا المؤلف في عرض للطلاق قبل الإسلام وأنواعه، وما حرمه الإسلام مثل الايلاء وهو أن تترك الزوجة لا أيما ولا ذات بعل، والظهار عندما يحرم الرجل امرأته على نفسه، و العضل وهو أن تمنع المرأة من التزوج إلا بأذن الزوج ويكتب كتابا بذلك،وشرع الإسلام اللعان في حالة قذف الزوجة ولم يكن العرب قد عرفوا هذا الحكم قبل الإسلام،ومن الملاحظ إن الإسلام قد تبنى الموقف العبراني للتخلص من بقايا النظام الامومي حيث يكون الولد تابع لـلام، وكان هدف الإسلام من اختياره هذا للنظام الذكوري هو للمحافظة على نقاء النسل .

وفيما يتعلق بالرضاعة فأن البابليين قد عرفوا الرضاعة و رصد المؤلف اختلاف بين مكة و،المدينة حول علاقة المني بحليب المرأة واخذت الرضاعة دور اجتماعي لتعزيز الاواصر ومنحت الرضاعة ابعاد قيمية بإعفاء المرأة الشريفة من الرضاعة،واما رضاعة الكبير(المثيرة للجدل) فكان الهدف منها الالتفاف على التشريع لإعادة التبني الذي حرمه الاسلام ،وقد اباحتها عائشة بعد ان حاربها الاسلام وجعلها في دائرة المحرم او المسكوت عنه.

ويخلص الكاتب الى ان جيل التأسيس لم يكن يتعبد حرفيا بالنصوص القرآنية كما هو حال متأخري المسلمين، وإنما كانوا يبحثون عن المصلحة ص٢٠٧، وهو ما أطلق عليه "المشري" حيوية التشريع عند الجيل الأول التأسيسي وساق لنا مثالا من تلك الفترة المهمة اذ كان القريشيون يعتبرون الغيلة خطر على حياة الرضيع، والغيلة ان ترضع المرأة الحامل او تغشى، وقد اباح ذلك الرسول الكريم حين علم بعدم ضررها ((هممت ان امنع امتي عن الغيلة حتى علمت ان فارس والـروم تفعل ذلك بأولادها فلا تضير اولادها))ص٢٠٩ و يعكس ذلك موقف ثقافي ايجابي لتعزيز النظر في مصلحة المجتمع .

الا ان الازدواجيـة قد حكمت نظرة الإسلام والمسلمين للمرأة تبعا لموقعها الاجتماعي فقد ورث الاسلام موضوعة الحجاب الذي كان معروفا قبل الاسلام، وكانت المرأة الارستقراطية تحتجب عن عيون الرجال الغرباء وقد احتجبت نساء الفرس، ومنحت الملابس دورا اجتماعيا واقتصاديا حتى بات اللباس وسيلة للتمايز الطبقي الا ان الظاهرة النسائية التي اهتم بها الرسول هي ظاهرة المغيبات، والمغيبات هن نساء غاب عنهن ازواجهن بسبب الغزو، والغزو يتطلب غياب الزوج لفترة قد تقصر وقد تطول وكان عدد الغزوات خلال عشر سنوات ٦٥ غزوة وبعثا وسرية (صـ٢٥٧) وهي انقطاعات طويلة متكررة ومتلاحقة كفيلة بترك آثار وشروخ في لحمة الاسرة اليثربية ذات الامتدادات الامومية اليمنية،لذا فقد ارقت قضية المغيبات الرسول وازعجته كثيرا، وفي صحيح مسلم حديث شريف بهذا الشأن ((الا كلما نفرنا في سبيل الله عز وجل خلف احدهم له نبيب كنبيب التيس يمنح احدهن الكتبة، اما ان الله لا يمكنني من احدهم الا جعلته نكالا)) ويذكر ذلك عبد الله بن عباس ان رجلين من الصحابة لم يمتثلا لنهي رسول الله وعادا الى بيتهما فوجد كل منهما مع امرأته رجلا ص٢٥٨ ما جعل الرسول يأمر بحبس الجنود القادمين من الغزو ليلا ص٢٥٨.

يريد البشير المشري ان يبين من تلك الصور الاجتماعية (عالية الدقة) ماهية التغيرات التي احدثتها الهجرة في مجتمع المدينة زمن الوحي، وكيفية استيعابها من قبل جيل التأسيس.

أن تشريعات جيل التأسيس هو ما تبنى الكتاب إبانته في مقدمته وقسميه، مرجعا تلك التشريعات الى جذورها المتنوعة والمعروفة وقتئذ في الاعراف والشرائع الوضعيةً والديانات المشرقية، والكتاب لم يكن بحثا في علم الاديان المقارن فحسب، بل هو دراسة متعمقة في سوسيولوجيا الظاهرة الدينية وقدرتها في ترسيخ ثيمات التشريع ،وجاء المشري ليسد به فراغا فاضحا في المكتبة العربية اللا (استشراقية).

المؤلف: البشير المشري
الناشر: دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٠

يوميات ٢٥ يناير

صدر عن مكتبة الشروق بالكويت أخيرا كتاب «يوميات ثورة ٢٥ يناير.. انتصار شعب وسقوط نظام» للكاتب محمد محمود خليفة. يقول المؤلف في مقدمته «عشت مع كتاب «يوميات ثورة ٢٥ يناير»، وسعدت بمصاحبة أحداثها يوما بيوم، ورغم أن سعادتي هذه لعلمي المسبق بنتيجتها، لكنها كانت عكس ما صاحبني من قلق، واضطراب، وقلة النوم طوال معيشتها مع أسرتي».

ويقول الكاتب في فقرة تمهيدية انه لا يقصد من هذا الكتاب رصد التاريخ المصري، الا «أنه يفتتحه بإطلالة على حكم الرئيس المصري السابق حسني مبارك، موضحا الأزمات والمشكلات التي أفضت الى الثورة.

ويتابع الكتاب أحداث ثمانية عشر يوما من عمر الثورة ذاكرا أحداث كل يوم منها وتطوراتها ساعة بساعة، والبيانات والدولية، مسجلا التصريحات المتبادلة بين السلطة والثوار ومواقف الناشطين السياسيين والأحزاب المصرية بمختلف اتجاهاتها، مشكلا مادة غنية لإعادة قراءة هذه الأيام الفارقة في حياة المصريين كافة.

وقد أرفق المؤلف بكتابه بالاضافة الى بعض الصور التوثيقية عبارات مأثورة على ألسنة كتاب ومسؤولين ومتابعين سياسيين وزعماء تعليقا على أحداث الثورة، اضافة الى سيرة ذاتية لرئيس الرئاسة المحتملين في الفترة المقبلة.

(أيام كارتون) تحليق في أفق الأسى

تبتغي نصوص مجموعة الشاعر (علي الاسكندري) (أيام كارتون) التحليق في أفق الأسى العراقي الذي يروم الإفلات من ثقل أزمنته في الوقت الذي يسترجع بقايا خيبات متفاوتة ، ومن شأن هذا الاسترجاع أن يسمح للذاكرة بتسليم نفسها الى مستويات من التذكر التخييلي المتوالد بغزارة ، الأمر الذي يدعونا الى القول بأن نص (الاسكندري) يعيد صياغة نفسه في كل حين بموجب منطق آخر جديد ، وعلى هذا النحو تكتسب نصوص المجموعة ضروبا من الألق المتأجج والمفعم بنداءات أليمة لا متناهية موجهة الى الذات والأخر في الآن نفسه.

جبار النجدي

يا ثمرة قلبي المفطور
أنت ذكرى بعيدة
وأنا ذلك الفتى الذي اختفى .....
والكهل الذي كل ما تبقى الآن
بحر من الغياب
وغابة بلا ذاكرة

وطير لا ينتمي إلى قفص

وهكذا فأن بوسع (المخيلة الاسترجاعية) في نص (أنوثة معتقة) مثلا أن تضع صورة المرأة (العانس) بين حدين متضادين وهما البرهان والافتراض فهي من جهة تعاني من حالة الثبات المتمثلة بـ (الانتظار) في حين تصبو من جهة أخرى الى تجديد آمالها ولكن بما هو غائب بلا رجعة وبهذا تستأنف عبء انتظارها من جديد ، متقلبة بين الثبات (المضجر) تارة واستئنافه بالانتظار تارة أخرى ، وبذا فأن حركة (العانس) المشروطة بالانتظار هي من أكثر مؤديات النص تعالقاً بفكرة (اللا متناهي) فبينما تحترف المرأة (العانس) حالة (الانتظار) فإنها لا تفقد جراء هذا الانتظار نضارتها فهي (العانس الجميلة) ، في حين ان هذه النضارة ستكون وقوداً لانتظارات أخر لا تعرف نهاية لمطافها:

العانس الجميلة
تلك التي ترقد على بيضتها العتيقة
في نهاية زقاق الحرب
مباهج حلمتيها متوثبة لاقتناص ذكورة
ضالة
وشطآنها بانتظار الفلق الهندي
أجلتها الحروب الى خميس لا يأتي
.....
.....
لم تتذوق الرغبة في فردوس الدنيا
ولا جنة تحت قدميها في غدها المقبل

وعلى وفق ذلك تتيح فكرة (اللا متناهي) في مجموعة (أيام كارتون) فرصة اكتشاف مساحات شعرية لم تظهر تفصيلاتها بعد ، بما يجعلنا نتيه في مستجداتها التي تواصل الارتواء من عطش متجدد ، ولهذا فان قراءة نص (مأزق وردة الخشخاش) يتطلب الشعور بما هو غائب ، لاسيما تلك الأشياء التي لا تبقى في موضعها والمتمتعة بصفة عرضية قابلة للتغيّر والانقلاب ، إن صفاتها التوليدية موصولة بالأشياء وما تضمره من وجود متعلق بالغير :

الوردة التي تورّم ساقها من الوقوف في الحديقة
وانشغل المنتزهون عنها بالثرثرة والنسيان
لم أدمِ للعاشق حين جرها لخليلته
بل سارعتْ للذبول
لتنفق جمالها ..
سماداً لوردة قادمة

إن نصوص الشاعر (علي الاسكندري) تزخر بما نأى وتوارى ، ولهذا السبب ينشغل نص (حياة مثقوبة) برصد خسارات الدنيا ولا نعلم على وجه التحديد إن ما يعنيه النص تجاه ذات شاعره هل يشكل حضوراً أم غياباً لها.. ؟ ، لكن النص منهمك بالتأكيد في البحث عن معطيات اللا جدوى ومكابدات ذات الشاعر غير البارزة للعيان :

ماذا افعل بحياتي المخربة
وأنا ادري بأني ضيف عجول على مائدة الحياة
.....
.....
طيلة خمسين سنة
ما كنت ادري بأني منهمك
في بحيرة من الأعوام التالفة

ومن وجهة أخرى يتخذ (الغياب) احد مظاهر (اللا متناهي) في نصوص المجموعة ليمدها بقسط وافر من المجهولية لدرجة ان المعنى في الكثير من نصوص المجموعة ينتمي من جهة دلالته الى ما لا يحدث بعد مولداً انزياحاً عن معيار المعنى في محاولة لإخلاء سبيله من قيوده المتداولة ، ونستدل على ذلك من اقتران مفردة (الغياب) في النصوص بمفردات أخرى مثل (المثاهة) والتلاشي) وغيرهما وإمكانية أن يتحول الجسد والأشياء الى (فكرة فحسب) أي إن المعنى الجسماني يضاف له معاني الأشياء الى (فكرة) لا غير ، بوسعها أن تتيح أمامنا مجالاً لنتصورها على صورة كيانات تتلاشى للحد الذي يصبح هذا التلاشي بمثابة انكشاف مختلف للمعنى :

تُقطع صداه بين الأزمنة الرخامية
ولم يبق لنا من ذاكرة كولمبس ..
غير أمريكا ..
لم يبق من أحلامه ..
غير ريبة معلقة على بوصلة ضالّة

إن المعنى في نصوص المجموعة لا يمكن امتلاكه طويلاً ، فثمة أفضلية لخيار المتغير في المعنى الناجم عن (اللا متناهي) فليس ثمة نزوع إلى أية تتمة وبالتالي فان كل معنى يعدنا بأخر تماماً كما يقول نص (لك البهاء ولي مغادرة الأوان) بوصفه شاهداً على ما يجري من لعب لا متناه على تبدلات المعنى والدلالة :

لك بريق المعنى ..
ولي أن أكدّس النسيان
.....
.....
لوّح الطير لك
ولي أن أبدد المعنى

نحن إذن أمام معنى لا يعلن عن كفايته بدلالة ما بل يسعى الى إمحاءها بسبب إنها متصاحبة مع أشياء مسكونة بالتواري :

سأحرر العبيد من تمثال الحرية
.....
.....

في كل عاصمة من عواصم الدنيا نصب للحرية
أو ساحة للتحرير
وما زلت عبد الله ..
يا عبد النظام
تحرر من المقاسات

إن الحرية هنا غير قابلة للتحرر فثمة أمكنة وأشياء (تمثال . نصب للحرية) وثمة جسد يقابلهم اسمه (عبد الله) غير أن معنى ودلالة الأمكنة الدالة على الحرية والتي تشكل وعاءاً للجسد هي مثل الجسد ذاته ، إنها قادرة أن تكون سوى بنية لمعنى ودلالة طارئتين ، بل إن كل شيء في النص يمتثل لعدم موجوديته باستمرار :

كم قلت لك إن البلاد مات أبواها وهي لما تزل في المهد ؟
.....
.....
لم يعد لي في منفضة التاريخ
غير اسم الإشارة
لم يعد لي غير خرائب أوروك
وأسد حجري اسمه أسد بابل

ولا يقف الأمر عند هذا الحد فالحلم بالعودة يجيء مقترناً بالغياب هو الآخر لاسيما وان بياض الطفولة في سياق نص (لك البهاء ولي مغادرة المكان) يأتي مماثلاً لحالة الغياب ذاتها :

ربما أعود عارياً
لأرتدي
طفولة البياض

إن اقل ما يقال عن الاشتغالات الشعرية في نصوص مجموعة الشاعر علي الاسكندري (أيام كارتون) من جهة تقابلات المعنى والدلالة وعلاقتها بـ (اللا متناهي) إن هذه النصوص تلتحم بما هو مقصى عنها على الدوام ، بمعنى إنها خارج وفي صميم المُقصى الذي لا يتوقع عن إقصاء نفسه مرة تلو أخرى.

حكايات إحسان عبد القدوس

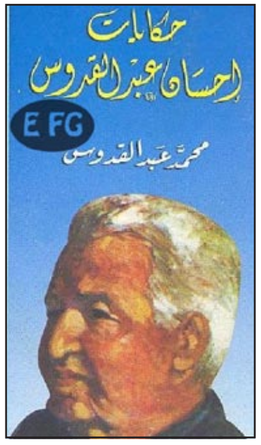

يبدأ مؤلف كتاب«حكايات احسان عبدالقدوس»، محمد إحسان عبدالقدوس، محطات بحثه بإطلاعنا على متانة وحميمية علاقة حب والده ووالدته، فيدرج الكلمات التي كتبها والده إحسان عبدالقدوس، أو "سانو" وهو الاسم الذي اشتهر به منذ شبابه المبكر بين أصدقائه المقربين، وأيضا الاسم الذي كانت دائما تناديه به لوالحظ، أو "لولا" -كما كان الجميع يناديونها. ويطلعنا محمد على ماهية ما كتبه سانو للولا في ذكرى مرور ٢٧ عاما على ارتباطهما يوم ٥ نوفمبر ١٩٤٣، إذ خاطب سانو لولا: "أنت وأنا ولدنا اليوم.. لم تكن لنا حياة من قبل، ولن تكون لنا حياة إلا معًا.. أنت كل الحياة.. وحبي". وكذلك الكلمات التي كتبها مهديًا لها أشهر قصصه "لا تطفئ الشمس".

ورأى المؤلف أن قصة حب سانو ولولا، هي ذروة العطاء العاطفي في قصة واقعية تنافس قصص الحب الرائعة المقروءة، مثل روميو وجولييت أو قيس وليلى، قائلا: إن لولا هي السبب المباشر والرئيسي وراء نجاح إحسان أو "سانو"، فهي التي صنعت منه كاتبًا عملاقا من أعصابها وقلبها الكبير، تلك الحقيقة التي كان يعترف بها إحسان عبدالقدوس ويفتخر بها قائلا: (لولا "لولا" ما كان "سانو")، ويذكر محمد أن سبب سخريته من اتهام والده بأنه كان "زير نساء"، لما ظهر في كتاباته من فهم لشعور وأحاسيس المرأة؛ لعلمه التام أن والدته لولا كانت ملكة متوجة على عرش قلب والده، وأنها حافظت على مملكتها وزوجها وأولادها، أكثر من أربعين سنة، وينتقل المؤلف إلى الحديث عن قصة زواج والديه، والتي وصفها بالعجيبة، في عنوان الرواية الثانية "قصة زواج عجيبة"، فقد كان لهما قصة خاصة.، حيث كان سانو طالبًا في السنة النهائية بكلية الحقوق عندما التقى بـ"لولا" للمرة الأولى عام ١٩٤٢، ويلفت المؤلف النظر إلى حرص الطرفين على ضرورة أن يعرف الجميع بعلاقتهما، خاصة أن عبدالقدوس كان يرى أن الحب الصحيح الصحي يجب أن يعيش في الهواء ويتعرض لضوء الشمس كالزهرة التي إذا لم تتعرض لضوء الشمس تذبل وتموت. ولكن تلك العلاقة لم تجد تشجيعًا للزواج من الأهل، حيث كانت فاطمة اليوسف، والدة عبدالقدوس، تريد له أن يلتفت إلى مستقبله لاستكمال رسالتها في مجلة "روزاليوسف" التي أنشأتها ١٩٢٥، كما أن عائلة "المهلمي" كانت معارضة أيضا لزواج ابنتها "لولا" من شاب ما زال في مقتبل عمره، ومجهول المستقبل، إلى جانب آرائه وأفكاره العجيبة. وأمام تلك العقبة لجأ "سانو" إلى أستاذه، الصحافي محمد التابعي الذي شجّعه على أن يتزوج من حبيبته وأن يعقد قرانه في بيته بالزمالك، واضعًا الجميع أمام الأمر الواقع، وكان التابعي الشاهد الرئيسي على هذا الزواج . ويقول المؤلف هنا، إنه على الرغم من رفض الأهل لهذا الزواج، إلا أنهم لم يلبثوا أن باركوه بعد ذلك. ثم ينتقل إلى الحديث عن محطات وطبيعة حياة "سانو" و"لولا"، بعدها، مبينا أنها بقيت متواضعة ماديًا إلا أنها كانت حياة سعادة في ظل كفاحهما المستمر نحو الأفضل. ولا يفوت المؤلف الإشارة إلى عقدة أبيه من اسمه إحسان عبدالقدوس، الذي يطلق على الرجال والنساء، حتى إنه في طفولته كان الأطفال يسخرون من اسمه، وهم يلعبون صائحين "البنوتة أهو"، والسبب وراء تسميته بهذا الاسم، أن والدته كانت لها صديقة مقربة اسمها إحسان. ولم يخل الكتاب من استعراض موسع لعلاقات إحسان وتعاملاته ومواقفه المختلفة مع السياسيين والصحافيين. ويتناول الكاتب أشد لحظات إحسان صعوبة وقسوة؛ وهي لحظة وفاة والدته "فاطمة اليوسف" في ١٠ إبريل ١٩٥٨، ووصفها بأنها كانت بمثابة زلزال لابنها، حتى إنه لم يتحمل الصدمة، وأصيب بما يشبه الانهيار، وذلك تحت عنوان "لحظات رهيبة في حياة إحسان عبدالقدوس؛ موت روزاليوسف.. كارثة عمره"، ويستكمل حديثه عن وفاة جدته بكل التفاصيل تحت عناوين "روزاليوسف.. استأذنت من الموت نصف ساعة"، و"في درج أسرار روزاليوسف". ويختلنا المؤلف، بعد هذه المشاعر الحزينة التي عايشها "سانو"، إلى الحديث عن قصصه التي تحوّلت إلى أفلام، من خلال المقالات التي كتبها إحسان ذاته، أو مشاهدته كابن له، أو من خلال حواره مع عمته التي استعان بها في كثير من صفحات الكتاب. كما يدعم مؤلف الكتاب، رواياته عن والده، بعدد من الصور، حملت عنوان "البوم الذكريات" الذي تضمن ٢٩ صورة، جمعت عبدالقدوس وعائلته في أماكن وأزمنة مختلفة، ولم تغفل صور روزاليوسف والدة عبد القدوس وجدة الكاتب، وآخر صورة له قبل وفاته بناير ١٩٩٠.

واختتم المؤلف كتابه، بآخر حلقة أو حكاية حملت عنوان "ختامه مسك.. خطاب إلى بابا في الآخرة"، وتضمنت خطابًا كتبه لوالده عقب وفاته بعدة سنوات وظل محتفظًا به، ولم ينشره إلا في الكتاب. ويخاطبه فيه بكلمات مثل "يا أغلى الناس، يا حبي الكبير"، متوجهًا له بالشكر على كل شيء، وخاصة على رحيله؛ لأنه أكد له الحقيقة التي تعلمها من دينه، حيث أصبح أكثر اهتمامًا بالآخرة، وكيف أن أسرته أنشأت صالونا ثقافيًا يحمل اسمه ليبقى في قلوب الناس، وكيف أنه أجاب من سأله عن رأيه في أدب إحسان عبدالقدوس، ظنًا من السائلين أنه قد يخالفه أو يتطاول عليه لملامحه وتوجهه الديني. ويختتم محمد كتابه: "أحبك يا بابا، أحبك، ومعذرة يا أغلى الناس فأنا مضطر إلى التوقف عن الكتابة حتى لا تطفر دموعي".

الكتاب: حكايات إحسان عبدالقدوس
تأليف: محمد عبدالقدوس
الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١١

المجموعة الكاملة لاعمال فيليب لاركن

ترجمة: ابتسام عبد الله

صدرت اخيرا المجموعة الكاملة من اشعار فيليب لاركن في كتاب انيق بـ ٧٠٠ صفحة، اشرف على اعدادها ارشي بورنيت، ومجموعات الدواوين الشعرية التي صدرت في حياة لاركن وهي: "سفينة الشمال"، "الاقل خداعا"، "عرس ويتصن واخيرا"، "النوافذ العالية"، تحتل اقل من ١٠٠ صفحة من هذه المجموعة، في حين تخصص الصفحات الاخرى لنشر كافة مسودات القصائد التي لم تنشر له،

ان هذا الكتاب ضروري لكل من يستمتع بشعر لاركن، او بالاحرى لكل من يحب الشعر، لان القرن العشرين، الذي شهد سطوع اسم فيليب لاركن في الشعر، فانه من الواضح ان لاركن ما يزال حتى اليوم هو الاقرب الى البريطانيين وفي مقدمة شعرائهم، اجل ان هناك شعراء كبار وعمالقة ومنهم ت. س. اليوت واودن وازرليوند، ولكن لاركن هو من يعبر حقا عن الشخصية الانكليزية، اذ ان قصائد اولئك تحمل تأثيرات اوسع، ولم يمنح أي واحد منهم نفسه تماما للثقافة البريطانية، على العكس من لاركن الذي كرس نفسه لاضفاء الاحساس الوطني على شعره، ومع ان لاركن عمل طوال حياته، في المكتبات الجامعية، مما اضفى عليه سمة العمل، "البرج العاجي"، فان اشعاره تتحدث عن المواطن الاعتيادي الذي يتحرك في الشارع وينتقل عبر الحافلات العامة، متعلقا بكل تذكارات اعوام ما بعد الحرب العالمية الثانية، غير متعلق بالافكار الضخمة.

كان فيليب لاركن متعاظما مع كل واحد، وقد يكون الشاعر بذلك متعاظما مع ذاته ايضا، وكما قال في قصيدة له، "بعد كل شيء، فكل الشوارع تزورها سيارات الاسعاف، في وقت ما".

والشاعر الذي برزع في عام ١٩٥٥، عبر مجموعته "الاقل خداعا"، كان قادرا على لاتحرك ما بين دقائق الحقائق اليومية وما وراء الواقع ايضا وبشكل طبيعي جدا ودون مبالغات او تصنع ما، ويمكن اعتباره الشاعر الوحيد في القرن العشرين الذي امتلك تلك الخاصية في التواصل مع التجربة والعاطفة والميتافيزيقيا.

وكان فيليب لاركن احد كبار الشعراء المحدثين ما بعد الحرب العالمية، واليوم مع اصدار المجموعة الكاملة مع اشعاره، يمكننا متابعة تطوره، مستذكرين ابياته التي لا تنسى: "يحل المطر في بعض الاماكن.. وما يبقى لنا هو الحب".

وقد نجح ارشي بورنيت سابقا في بحثه عن الشاعر أ- ي هاوسمان، الذي استخدم العامل الانساني ايضا في الكشف عن الطابع الانكليزي، وفي هذا العمل الجديد، يبدو مدهشا في الكشف عن عالم فيليب لاركن، متتبعا قصائده مع الاشارة الى تعليقات الشاعر نفسه على عمله، وتبدو تلك القصائد في شكل ومعان جديدة، وعندما تنشر الظروف التي رافقت كتابتها والعوامل التي حفزت الشاعر على كتابتها.

ان ذلك الكشف عن الظروف التي رافقت كتابة قصائد ما، هي قلب هذه المجموعة الكاملة من الاعمال، المرتبة بشكل جيد جدا. ان المجموعات الاربع من اعمال الشاعر التي نشرت في الكتاب، تتبعها ايضا قصائد اخرى نشرت في حياة لاركن وقصائد لم تنشر ولكنها مؤرخة.

وكان انتوني ثويتت قد اصدر في عام ٢٠٠٣، كتابا يضم قصائد دواوينه الاربعة، مهملا تلك القصائد التي لم يتم طبعها، ولذلك كانت هناك تساؤلات انذاك عن السبب في اهمالها، وفي العام الماضي اعد مارتن ايميس للطبع، "قصائد مختراة" من اعمال فيليب لاركن، مما دف بعض النقاد الى التساءل فيما ان كان شاعر بحجم لاركن في حاجة الى اصدار مجموعة مختارات من اعماله.

ان الامر ببساطة ليس تقديم صورة لفيليب لاركن بشكل جيد، فارشر بورنيت ليس حامل مشعل ولكنه باحث، ودارس جدلي، مستقل.

ان الكتاب عادة يبحثون عن المسودات التي لم يتم نشرها، والارشيف يهتم ايضا بجمع الدلائل المنهجية، ان هذه الامور تعتبر متممة او جزءا من اثار الكاتب او الفنان غير المطبوعة.

ومن الجدير بالقول، ان هذا الكتاب، ممتع ورائع، ويقدم جوانب جديدة من حياة فيليب لاركن، كما انه يقدم بورنيب، ويكشف عن جدارته في كتابة السيرة.

عن الغارديان

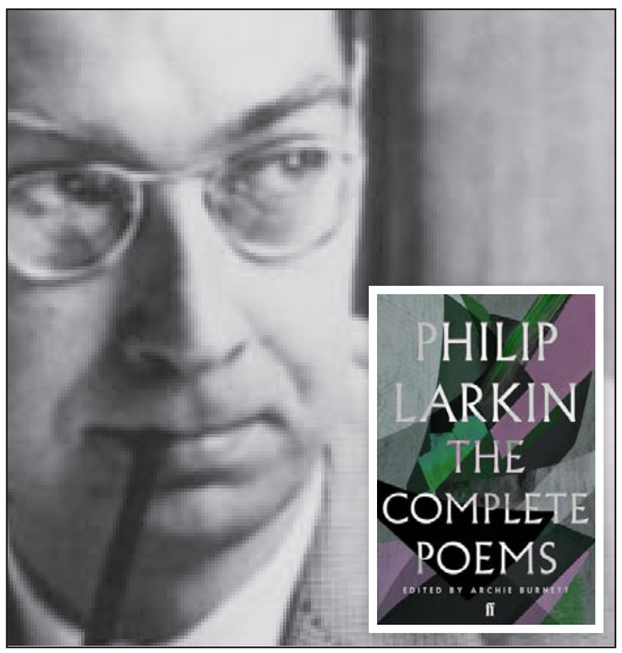

كتاب "كفاحي" للديكتاتور النازي قد ينشر في ألمانيا لأول مرة

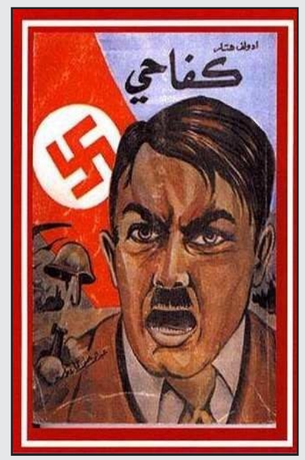

لندن / رويترز

تعكف دار نشر بريطانية نهاية الشهر الجاري على نشر مقاطع من كتاب الديكتاتور النازي أدولف هتلر الشهير "كفاحي" الذي يعرض فيه الإيديولوجيا القومية الاشتراكية رغم المعارك القضائية لحظر إعادة نشر كتابات هتلر.

للمرة الاولى منذ ١٩٤٥، سينشر مقاطع من من كتاب ادولف هتلر الشهير "كفاحي" من قبل دار نشر بريطانية قد تواجه معارك قضائية بسبب حظر اعادة نشر كتابات الدكتاتور النازي.

واعتبارا من ٢٦ كانون الثاني/يناير، يريد الناشر البريطاني بيتر ماكفي ان يضع في اكشاك البيع "كتيبا من ١٢ الى ١٥ صفحة" يتضمن مقاطع كثيرة من كتاب "كفاحي" الذي يعرض فيه هتلر الايديولوجيا القومية الاشتراكية. وسيتم نشر مقتطفات اخرى تدريجيا بمعدل مئة الف نسخة اسبوعيا.

وفي الصفحة الاولى لهذه النشرة التاريخية التي تحمل عنوان "تسايتونغ-تسويغنس" صورة للديكتاتور النازي بوجه مقطوع عند مستوى الشارين، على خلفية زرقاء.

وقال الناشر اوكالة فرانس برس ان "الجميع يعرف +كفاحي+ ويعتبره كتابا شيطانيا عن القومية الاشتراكية لكن كل من قرأه لاحظ أنه عمل أقل من عادي وغير منظم".

واكد أستاذ الصحافة هورس بوتكر الذي تولى إضافة ملاحظات على المقتطفات ان "هذا الموضوع ممنوع منعا باتا في المانيا لكن الكتاب متوفر في كل انحاء العالم وهناك ايضا نسخة منه بالعبرية في اسرائيل".

واضاف "علينا ان نقدم هذا الكتاب الى اكبر عدد ممكن من الناس لأنه الوسيلة المثلى للتعرف على طريقة تفكير النازيين وعلى الجوانب الجذابة في هذه الايديولوجيا".

وكتاب "كفاحي" الذي الفه هتلر في السجن سنة ١٩٢٤ بعد محاولة انقلاب، ليس ممنوعا قانونا. لكن منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، تحتفظ وزارة المالية في مقاطعة بافاريا بحقوق المؤلف الخاصة بهذا الكتاب الذي يحتوي على عناصر سيرة ذاتية بالإضافة إلى ايديولوجيا النازية.

وتحرص الوزارة على عدم اعادة نشره لتجنب استغلاله الممكن من قبل مجموعات النازيين الجدد.

وأعلن متحدث باسم الوزارة في المقاطعة الاثنين انها تفكر في اللجوء إلى القضاء لمنع صدور الكتيبات لكن دار النشر تؤكد من جهتها أن ذلك لا ينتهك القانون لأنه سينشر مقتطفات لا اكثر.

وعبر التجمع الاميركي للناجين من المحرقة عن سخطه للاهداف التجارية للناشر.

أما ديتر غرومان رئيس المجلس المركزي لليهود المانيا فأوضح إنه لا يعارض المشروع. وقال "من الافضل الا تصدر اي منشورات ولكن في حال صدرت فينبغي ان تكون مرفقة بتعليقات تربوية لمؤرخين".

وفي كل الأحوال، بات الكتاب معروضا للبيع على مواقع إلكترونية عدة.

ويقول المؤرخ ايان كيرشو ان عشرة ملايين نسخة تقريبا قد حررت في المانيا حتى ١٩٤٥، ما يعني بالنسبة الى المحامي تيم هوسمان ان نسخا من تلك الفترة لا تزال قيد التداول.

ويضيف المحامي انه لو تم منع الكتاب نهائيا "لكان قسم كبير من الالمان جرموا".

ويفترض أن يطرح كتاب "كفاحي" في الأسواق في نهاية العام ٢٠١٥ بعد سبعين عاما على موت هتلر. وقد أعرب معهد للأبحاث عن نيته نشر نسخة مرفقة بـ٤تعليقات بدءا من العام ٢٠١٥.

وقد أثارت مجلة "تسايتونغ-تسويغن" الجدل سنة ٢٠٠٩ بسبب نشرها مقتطفات من صحف نازية قديمة كانت بافاريا قد حاولت عبثا منع نشرها.

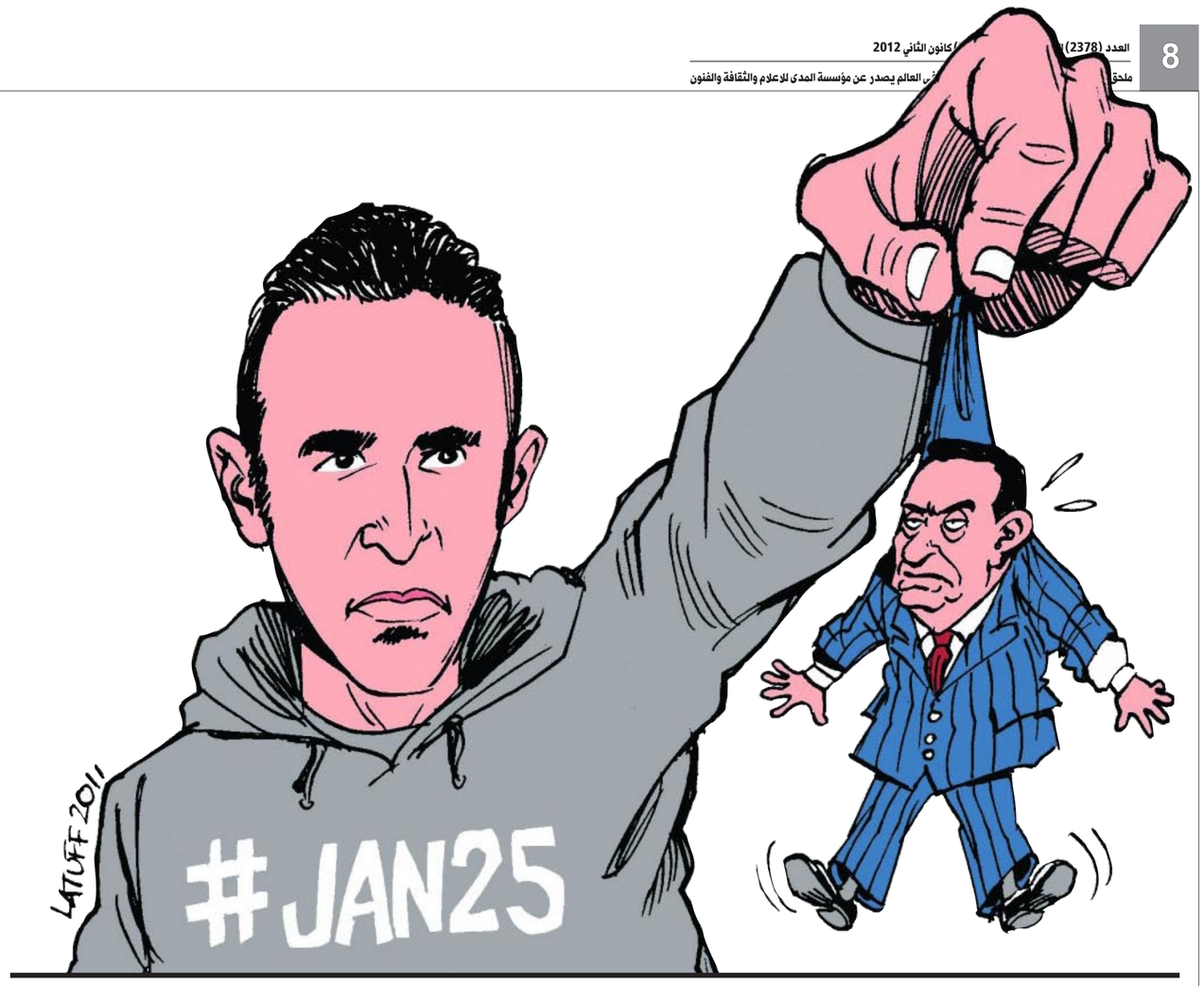

مبارك وزمانه من المنصة إلى الميدان

لغز رجل حكم مصر ثلاثين سنة

لم ألزم نفسي طوال هذه الصفحات بأوصاف للرئيس حسني مبارك من نوع ما يرد على الألسنة والأقلام منذ أزيح عن قمة السلطة، وإنما استعملت الإشارات العادية طالما أن الرجل لم يُحاكم، ولم يُحكم عليه. ومع أن مبارك وصل إلى قاعة محكمة - ممددا على سرير طبي دخل به إلى زنزانة حديدية - فإن التهم التي وجّهت إليه لم تكن هي التهم التي يلزم توجيهها، بل لعلها الأخيرة فيما يمكن أن يوجه إلى رئيس دولة ثار شعبه عليه، وأسقط حكمه وأزاحه. والمنطق في محاكمة أي رئيس دولة أن تكون محاكمته على التصرفات التي أخل فيها بالتزامه الوطني والسياسي والأخلاقي، وأساء بها إلى شعبه، فتلك هي التهم التي أدت للثورة عليه.

أي أن محاكمة رئيس الدولة – أي رئيس وأي دولة – يجب أن تكون سياسية تثبت عليه – أو تنفي عنه – مسؤولية الإخلال بعهده ووعده وشرعيته، مما استوجب الثورة عليه، أما بدون ذلك فإن اختصار التهم في التصدي للمظاهرات – قتلى للأوضاع يستعجل الخاتمة قبل المقدمة – والنتائج قبل الأسباب، ذلك أنه إذا لم يظهر خروج مبارك على العهد والوعد والشرعية، إذن فقد كان تصديه للمظاهرات ممارسة لسلطته في استعمال الوسائل الكفيلة بحفظ الأمن العام للناس، والمحافظة على النظام العام للدولة، وعليه يصبح التجاوز فإصدار الأوامر أو تنفيذها – رغبة في حسم سريع، ربما تغفره ضرورات أكبر منه، أو في أسوأ الأحوال تزيداً في استعمال السلطة قد تتشفع له مشروعية مقاصده!

وكذلك فإنه بعد المحاكمة السياسية – وليس قبلها – يتسع المجال للمحاكمة الجنائية، ومعها القيد والقفص!

بمعنى أن المحاكمة السياسية هي الأساس الضروري للمحاكمة الجنائية لرئيس الدولة، لأنها التصديق القانوني على موجبات الثورة ضده، وحينئذ يصبح أمره بإطلاق النار على المتظاهرين جريمة يكون تكييفها القانوني إصراره على استمرار عدوانه على الحق العام، وإصراره على استمرار خرقه المستبد لعهده الدستوري مع الأمة! ومن هذا المنطق فإنني لم استعمل في الإشارة إلى مبارك أوصافاً مثل المخلوع أو المطرود أو حتى السابق، وإنما استعملت على طول سياق هذه الصفحات ما هو عادي من الإشارات.

وعلى أي حال فإنه من حق من يشاء – إذا شاء – أن ينزع إشارات استعملتها بمنطق ما قدمت، وأن يضع بدلها المخلوع والمطرود أو السابق!

أردت بهذه الملاحظة أن أطرح مبكراً وجهة نظر لا أكثر، وحتى لا يأخذ على أحد تهمة أدب يتزيد، أو تمسك بأصول أسقطتها الدواعي!

بدأت التفكير في هذه الصفحات باعتبارها مقدمة لكتاب تصورت أن أجمع داخل غلافه مجمل علاقتي بالرئيس حسني مبارك، وقد كانت علاقة محدودة وفاترة، وفي كثير من الأحيان مشدودة ومتوترة، وربما كان أكثر ما فيها – طولا وعرضا – لقاء واحد تواصل لست ساعات كاملة، ما بين الثامنة صباحا إلى الثانية بعد الظهر يوم السبت ٥ ديسمبر ١٩٨١ – أي بعد شهرين من بداية رئاسته – وأما الباقي فكان لقاءات عابرة، وأحاديث معظمها على التليفون، وكلها دون استثناء بمبادرة طيبة منه، لكن الواقع أن الحوار بيننا لم ينقطع، وكان صعباً أن ينقطع بطبائع الأمور طالما ظل الرجل مسيطرا على مصر، وظللت من جانبي مهتماً بالشأن الجاري فيها، وعليه فقد كتبت وتحدثت عن سياساته وتصرفاته، كما أنه من جانب رد بالتصريح أو بالتلميح، وبلسانه أو بلسان من اختار للتعبير عنه أو تطوع دون وكالة.

وقد تراكم من ذلك كثير مكتوب مطبوع، أو مرئي مسموع، وفكرت أن أجعله سجلا وافيا – بقدر الإمكان – لحوارات وطن في زمن، ولعلاقة صحفي مع حاكم ومع سلطة في الوطن وفي الزمن!

لكني رُحت أسأل نفسي عن الهدف من جمع هذا السجل، ثم ما هو النفع العام بعد جمعه؟!

– وبداية فقد ورد على بالي أن تسجيل ما جرى في حد ذاته قد يكون وسيلة إلى فهم مرحلة من التاريخ المصري المعاصر مازالت تعيش فينا، ومازلنا نعيش فيها!

– ثم ورد على بالي أن كثيراً من قضايا ما جرى مازالت مطروحة للحوار، وبالتالي فالتسجيل سند للوصل والاستمرار.

– ثم ورد على بالي أن بعض الملامح والإشارات في سياق ذلك الحوار ربما تكون مفيدة في التعرف أكثر على لغز رجل حكم مصر، وأمسك بالقمة فيها ثلاثين سنة لم يتزحزح، وتغيرت فيها الدنيا، وظل هو حيث هو، لا يتأثر.

وذلك لابد له من فحص ودرس!

تركت خواطري تطل على كل النواحي، ثم اكتشفت أن الاتجاهات تتفرع وتتمدد – لكن الطرق لا تصل إلى غاية يمكن اعتبارها نقطة تصل بالسؤال إلى جواب.

وعُدت إلى ملفاتي وأوراقي، ومذكراتي وذكرياتي، وبرغم آثار كثيرة وجدتها، ومشاهد عادت إلى بأجوائها وتفاصيلها، فقد طالعني من وسط الزحام سؤال آخر يصعب تفاديه – مجمله:

– ماذا أعرف حقيقة وأكيداً عن هذا الرجل الذي لقيته قليلاً، واشتبكت معه – ومع نظامه – طويلاً؟!

والأهم من ذلك:

– ماذا يعرف غيري حقيقة وأكيداً عن الرجل، وقد رأيت – ورأوا – صوراً له من مواقع وزوايا بلا عدد، لكنها جميعاً لم تكن كافية لتؤكد لنا اقتناعاً بالرجل، ولا حتى انطباعاً يسهل الاطمئنان إليه والتعرف عليه، أو الثقة في قراره.

بل لعل الصور وقد زادت على الحد، ضاعفت من حيرة الحائرين، أو على الأقل أرهقتهم، وأضعفت قدرة معظمهم على اختيار أرقبها صدقاً في التعبير عنه، وفي تقييم شخصيته، وبالتالي في الاطمئنان لفعله!

وإذا أخذنا الصورة الأولى للرجل كما شاعت أول ظهوره، وهي تشبه بالبقرة الضاحكة La vache qui rit – إذن فكيف استطاعت بقرة ضاحكة أن تحكم مصر ثلاثين سنة؟!

وإذا أخذنا الصورة الأكثر بهاء، والتي قدمت الرجل إلى الساحة المصرية والعربية بعد حرب أكتوبر باعتباره قائداً لما أطلق عليه وصف الضربة الجوية – إذن فكيف تنازلت الأسطورة إلى تلك الصورة التي رأيناها في المشهد الأخير له على الساحة، بظهوره ممدداً على سرير طبي وراء جدران قفص في محكمة جنايات مصرية، مبالغاً في إظهار ضعفه، يرخي جفنه بالوهن، ثم يعود إلى فتحه مرة ثانية يختلس نظرة بطرف عين إلى ما يجري من حوله – ناسياً – أنه حتى الوهن له كبرياء من نوع ما، لأن إنسانية الإنسان ملك له في جميع أحواله، واحترامه لهذه الإنسانية حق لا تستطيع سلطة أن تنزعه منه – إلا إذا تنازل عنه بالهوان، والوهن مختلف عن الهوان!

وإذا أخذنا صورة الرجل كما حاول بنفسه وصف عصره، زاعماً أنه زمن الإنجاز الأعظم في التاريخ المصري منذ محمد علي – إذن فكيف يمكن تفسير الأحوال التي ترك مصر عليها، وهي أحوال تفريط وانفراط للموارد والرجال، وتجريف كامل للثقافة والفكر، حتى إنه حين أراد أن ينفي عزمه على توريث حكمه لابنه، رد بحدة على أحد سائليه وهو أمير سعودي تواصل معه من قديم، قائلا بالنص تقريبا:

– يا راجل حرام عليك، ماذا أورث ابني – أورثه خرابة؟!

ولم يسأله سامعه متى وكيف تحولت مصر إلى خرابة حسب وصفه!

وهل تولى حكمها وهي على هذا الحال؟ وإذا كان ذلك فماذا فعل لإعادة تعميرها طوال ثلاثين سنة؟ وهذه فترة تزيد مرتين عما أخذته بلاد مثل الصين والهند والملايو لكي تنهض وتتقدم!

ثم إذا كان قد حقق ما لم يستطعه غيره منذ عصر محمد علي – إذن فأين ذهب هذا الإنجاز؟!

– وكيف تحول – تحت نظامه إلى خرابة؟! – ثم لماذا كان هذا الجهد كله من أجل توريث خرابة خصوصاً أن الإلحاح عليه كان حقل الألغام الذي تفجر في وسطه نظام الأب حطاما وركاما، مازال يتساقط حتى هذه اللحظة بعد قرابة سنة من بداية تصدعه وتهاويه!

وكيف؟!! – وكيف؟!! – وكيف؟!

وهنا فإن التساؤل لا يعود على الصور، وإنما ينتقل إلى البحث عن الرجل ذاته!

وعلى امتداد هذه الصفحات فقد حاولت البحث عن الرجل ذاته قبل النظر في ألبوم صوره، وعُدت إلى ملفاتي وأوراقي، ومذكراتي وذكرياتي عن حسني مبارك، ثم وقع بمحض مصادفة أنني لمحت قصاصة من صحيفة لا أعرف الآن بالتحديد ما دعاني إلى الاحتفاظ بها ثلاثين سنة، لكني حين نزعتها من حيث كانت وسط المحفوظات – رُحت أقرؤها وأعيد قراءتها – مفتكرا!!

وكانت القصاصة مقالاً منشوراً في جريدة الواشنطن بوست في يوم ٧ أكتوبر ١٩٨١، وفي بداية المقال جملة توقفت عندها، وفي الغالب بنفس الشعور الذي جعلني أحتفظ بها قبل ثلاثين سنة!!

والجملة تبدأ بنقل "أن الأخبار من القاهرة بعد اغتيال الرئيس السادات تشير إلى أن الرجل الذي سوف يخلفه على رئاسة مصر هو نائبه حسني مبارك – ثم تجيء جملة تقول بالنص: إنه حتى هؤلاء الذين يُقال إنهم يعرفون مبارك هم في الحقيقة لا يعرفون عنه شيئاً.

والآن بعد ثلاثين سنة وقفت أمام هذه الجملة، وشيء ما في مكونها يوحي بأنها مفتاح المقال كله، لأننا بالفعل أمام رجل رأيناه كل يوم وكل ساعة، وسمعناه صباح مساء، واستعرضنا الملايين من صوره على امتداد ثلاثين سنة، لكننا لم نكن نعرفه ولا نزال!!

وكان سؤالي التالي لنفسي:

– إذا لم تكن للرجل صورة معتمدة تؤدي إلى تصور معقول عنه، فكيف أتفرغ شهورا لجمع ونشر ما سمعت منه مباشرة خلال مرات قليلة تقابلنا فيها، أو ما قلته له بطريق غير مباشر – أي بالحوار والكتابة والحديث ثلاثين سنة؟!

وترددت، لكنني بإلحاح أن تلك ثلاثين سنة بأكملها من حياة وطن، وهي نفسها ثلاثين سنة من المتغيرات والتحولات في الإقليم وفي العالم، قادنا فيها رجل لا نعرفه إلى مصائر لا نعرفها – فإن زمان هذا الرجل يصعب تجاوزه أو القفز عليه مهما كانت الأسباب، مع أن هناك أسباباً عديدة أبرزها أن التاريخ لم ينته بعد كما كتب بعض المتفائلين من الفلاسفة الجدد!!

ثم كان أن توصلت إلى صيغة توفيق بين هذه الاعتبارات:

من ناحية تصورت أن أحاول في مقدمة مستفيضة لهذا الكتاب، أن أترك ما تحويه ملفاتي وأوراقي، ومذكراتي وذكرياتي – تنقل بعض الخطوط والألوان عن "حسني مبارك" معترفا مقدما ومسبقا أن هذه المقدمة مهما استفاضت ليست كافة الإظهار لوحة تستوفي شروط المدرسة الكلاسيكية لفن الرسم، لكنها – كذلك خطر لي – قد تستطيع مقارنة بشروط مدرسة الرسم التعبيري.

بمعنى إنها قد تكون صورة لا تحاول تقليد مدرسة "ليوناردو دافنشي" أو "مايكل أنجلو" وحيا موصولا بالطبيعة، إنما تحاول تقليد مدرسة "رينوار" و"مانية" – تلمس موضوعها بمؤثرات أجوائه الإنسانية، وتشير إلى الطبع والشخصية مما يبلغ الحس ولا يطوله البصر.

وراودني على نحو ما أن الجميع – ربما – أخطأوا في تصوير الرجل. لجأوا إلى الكاميرا تلتقط الصورة ومضا بالضوء، بينما كان يجب أن يلجأوا إلى الفرشاة واللون رسما بالزيت، ثم إنهم كرروا الخطأ حين اختاروا المدرسة الكلاسيكية في الفن، بينما كان يجب أن يلجأوا للمدرسة التأثيرية!

وأظن أن ذلك ما حاولت بلمسات ألوان على مساحة ورق، تنزل عليها فرشاة زيت تشبعت به خفيفة وكثيفة، تؤمن بالظل أو بالفراغ، وتوحي بأكثر مما تصيح، وتعبر بقدر ما هو مستطاع في زمن لم يعد فيه متسع لرقة "رينوار"، أو خيال "مانية".

ولقد سألت نفسي كثيرا عن السبب الذي دعا الجميع إلى هذا التقصير في البحث عن الرجل ذاته، وكيف تراكم التقصير في التعرف على ثلاثين سنة؟!

وكان التفسير متعدد الأسباب وكلها منطقية، لكنها تاهت في الزحام:

بعض الناس تلقفوه حين وجوده ولم يتوقفوا أمام شخصيته وهو يقفز من المنصة إلى الرئاسة، فقد أخذهم هول ما وقع على المنصة، وتمسكوا بمن بقي بعده!

وبعضهم أخذه الظاهر من الرئيس الجديد واستخف بما رأى، واعتبره وضعا مؤقتا لعبور أزمة، وبالتالي فالإطالة في تحليله إضاعة للوقت!

وبعض شدته الوقائع التي ظهر الرجل طرفا في معمعانها، واستطاعت الصورة العامة للأحداث الكبر التي دهمت المنطقة أن تستوعب دوره ضمن الأدوار، ومع قيمة مصر فإن الجالس على قمتها التحف برايتها، وساعده الطامعون في إرث الدور المصري على تحويل هذه الراية إلى برقع يستر ملامح متغيرة للسياسة المصرية!

وبعض، خصوصا من أجيال الشباب، نشأوا ولم يعرفوا رئيسا غيره، وبالتالي فإن أجيالا تعودت عليه، وتأقلمت بالطبع على وجوده.

وبعضهم رغبة في راحة البال تجاهل السؤال عن الرجل، واستعاض عنه بقبول جواب معباً بصنعة إعلام يأتمر بالغلبة – غلبة السلطة – أو غلبة الثورة في مصر، وكان لسوء الحظ إعلاما فقد تأثيره، وإن بقي هديره!

ولعل.. ولعل.. وكلها علامات استفهام تحار فيها الظنون، لكن الواقع قبل وبعد أي شيء أن الرجل بقي على القمة في مصر ثلاثين سنة!

وأستأذن أن أؤكد وبوضوح أن هذه الصفحات وإن طالت عما توقعت – ليست قصة حياة، ولا هي سيرة رجل، وإنما هي لمحات قصرتها على ما رأيت بنفسي أو عرفت، وذلك هو عذري – واعتذاري – عن استعمال صيغة المتكلم في بعض الفصول، وعذري – واعتذاري أيضا – عن استعمال ألفاظ وعبارات بالعامية نقلتها كما سمعتها طلبا لدقة التعبير.

وهنا أضيف أنني لم أسع إلى لقاء أحد ممن عملوا مع "مبارك" عن قرب أو عايشوه، فتلك مهمة غيري إذا حاول كتابة سيرته أو تتبع دوره.

ولقد راعني – وأظنه راعي غيري – أن كثيرين من هؤلاء الذين عملوا معه ومباشرة، كانوا أوائل من انقلبوا عليه، والمعنى هنا أن الرجل لم يرتبط بعلاقات إنسانية عميقة مع محيطه، ولا تواصل بولاءات متبادلة أو حميمة مع الذين اقتربوا منه وخالطوه، وإنما كانت علاقاته بهذه المحيط – على الأرجح – خدوشا على السطح لا يتبقى منها غير ندوب على الجلد تشحن وتزول بعد أيام أو أسابيع لا أكثر!

ذلك هو الجزء الأول من هذا الكتاب!

بقي الجزء الثاني، وذلك هو الجزء الأكبر في الكتاب، وهو يشمل ما جمعت مما كتبت على الصفحات أو قلت على الشاشات، وكله مرتبط بقضايا العصر عرض وتحليلا – شرحا وتفصيلا، وظني أنه وقد امتد على مساحة ثلاثين سنة، قد يعوض بالكلمات بعض ما لم تستطع أن تستوفيه الألوان!

وأملي – ربما – أن شيئا في هذا كله قد يرسل شعاعا يكشف ولو لمحة من تلك الفجوة المجهولة التي أشارت إليها جريدة "واشنطن بوست" منذ اليوم الأول لعصر "مبارك" حين قالت "إن الذين يظنون أنهم يعرفون الرجل هم في الواقع لا يعرفون عنه شيئا".

وذلك – مع الأسف صحيح – فلقد فاجأت هؤلاء العرافين بدايته، وفاجأتهم نهايته!

يتبقى أن هناك سؤالا لا بد أن يصل إلى آذان الجميع: كيف استطاع هذا الرجل أن يجلس على رئاسة مصر ثلاثين سنة؟! ثم كيف استطاع شعب مصر أن يصبر ثلاثين سنة؟!

وبالنسبة لـ"كيف" الأولى فالجواب على سؤالها: إنه حظه طالما استطاع البقاء!

وأما "كيف" الثانية فجواب سؤالها: أنها مسئولية الشعب المصري كله لأنه هو الآخر استطاع – استطاع بالصبر والصمت – وإظهار السأم والملل أحيانا – حتى جاءت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، وعندما لم يعد الصبر قادرا، ولا الصمت ممكنا، ولا الملل كافيا

مقدمة: كتاب سيصدر حديثا للكاتب محمد حسنين هيكل بعنوان مبارك من المنصة الى الميدان

أجهزة القراءة الإلكترونية غيرت مفهوم الكتاب

اعتقدت ايما تايتفين البالغة من العمر ١٢ عاما ان كتاب الكيمياء الذي اوصتها مدرستها بقراءته سوف يكون كتابا جيدا يساعدها على النوم بسرعة.

ولكنها قامت بتنزيل مادة «العناصر: استكشاف بصري» عبر جهازها أي – باد. وبدلا من ان تجعلها تلك المادة تشعر بالنعاس، حفزت نشاطها ومتابعتها، وقد اكتسبت العناصر الكيماوية البالغ عددها ١٨٨ مادة والتي تبدأ من الهيدروجين الى أونكتيوم حيوية عبر الصور التي يمكن تدويرها والسيطرة عليها عن طريق حركة الاصبع.

وشرعت تنتقل عبر أدوات الربط المختلفة من موضوع الى آخر بضغطة الاصبع، ووجدت نفسها منغمسة في عالم الأوزان الذرية والمكونات الكريستالية. وبعد مضي ثلاث ساعات من ذلك، أدركت ايما ان الساعة بلغت الحادية عشرة قبل منتصف الليل، وأن موعد نومها العادي قد فات.

وقالت «لقد كانت تجربة مثيرة مقارنة بالكتاب المدرسي، فقد اذهلتني القدرة على القيام بكل تلك الخطوات، وقد كنت أواصل الضغط على الجهاز حتى أتمكن من قراءة المزيد».

وبعد أكثر من ٥٥٠ عاما من طباعة جوهانز غوتنبرغ ١٨٠ نسخة من الانجيل، هناك الآن تكنولوجيات حديثة احدثت ثورة كتلك التي بدأتها المطبعة. وباتت تغير في مفهومنا للكتاب وعملية التعلم. فالصوت والصورة المتحركة والقدرة على الاتصال عبر الانترنت خلقت مفهوم الكتاب الحي الذي يستطيع اقامة نوع جديد من العلاقة مع القارئ.

ومع تطور اجهزة القراءة الالكترونية وانتشارها اصبحت الكتب اكثر قدرة على التحدث الى القارئ، وطرح اسئلة عليه حول استيعابه للمادة، واستخدام افلام الفيديو لتوضيح نقطة من النقاط او مسألة من المسائل، او ربطه بمجموعة من القراء يشاركونه اهتمامه، وهذه التكنولوجيا ذاتها تتيح للقارئ التواصل مع المؤلف، وتقديم وجهة نظره مباشرة بل وتحوله الى مشارك في عملية الخلق، والتأثير على سير الحبكة، واستخدام المؤلف للادوات الدرامية.

كما ان الادوات الرقمية باتت تمكن المؤلفين المستقلين، اي غير المرتبطين بدور نشر معينة، من نشر اعمالهم، والترويج لها، مما سيفتح الباب امام تدفق عدد كبير من الاعمال المكتوبة حول كل الموضوعات.

نهاية عهد المكتبة

واذا وضعنا في الاعتبار تجربة صناعة الموسيقى خلال العقد الماضي، فاننا سنشهد اغلاق المزيد من مكتبات بيع الكتب، وهو ما حدث لمحلات بيع التسجيلات الموسيقية، حيث سيقل الطلب على الكتب المطبوعة، مما سيضطر المؤلفين وناشري كتبهم الى التوصل الى اساليب جديدة لتحقيق الربح في مجال عملهم. وتقول كارولين رايدي، المدير التنفيذي لدار النشر سايمون وشوستر، «لا يوجد أي جانب من جوانب نشر الكتاب الا ويستطيع النشر الرقمي القيام به».

فهناك رواية آن رايس القصيرة «سيد بوابة رامبلينغ» التي صدرت في عام ١٩٩١ في طبعة شعبية، تظهر امكانات النشر الرقمي، فهذه الرواية تحكي قصة اخ واخت ورثا مسكنا فاخرا كبيرا يعيش فيه الموتى الاحياء.

وقد اكتسبت هذه الرواية التي نفدت طبعتها، حياة جديدة في مارس الماضي، عندما اعيد نشرها في شكل رقمي بواسطة شركة فوك، وهي شركة حديثة تصدر عناوين خاصة بجهازي اي – باد، واي فون. وتأتي رواية «سيد بوابة رامبلينغ» مع فيديو يحتوي على مقابلات مع المؤلفة رايس وآخرين. وتتحدث رايس عن الظروف التي اوحت لها موضوعات كتبها وحول النوع الادبي الغوطي الذي تكتبه.

وتوجد ضمن النص ادوات ربط بصفحات في الانترنت تضم تفاصيل حول الاحداث والاماكن الواردة في القصة، مثل وصف لحي ماي فير في لندن، حيث تقيم شخصيات الرواية او تاريخ وباء الموت الاسود الذي يلعب دورا رئيسيا في احد فصول الكتاب.

وتقول المؤلفة آن رايس «بالنسبة لي تعتبر هذه وسيلة للتواصل مع القراء، وإقامة صلة معهم وتشكيل مجموعة تضمهم». وشركة فوك (واسمها مشتق من كلمتي يديو وبوك بالانكليزية أي يديو وكتاب).

دور جديد للكتاب

وقال تيم اورايلي، صاحب شركة رائدة في مجال تصميم وتوزيع الكتب الرقمية عبر شبكة الانترنت وعن طريق الهواتف النقالة، إن هذه التكنولوجيا لديها القدرة على «توسيع إدراكنا حول دور الكتاب وأهميته».

وأجهزة القراءة الرقمية الالكترونية تستطيع، بالاضافة إلى عرض صفحات الكتاب، قراءتها بصوت عال. وتفتح كنزا ادبيا امام المكفوفين وضعاف البصر ممن كانت امامهم فرص اختيارات ضئيلة من الكتب المسجلة صوتيا او تلك المكتوبة بطريقة برايل. وهناك أجهزة تنتجها شركة امازون وإبتيل تستطيع تحويل النصوص المكتوبة إلى كلام.

ويقول جورج كيرشير رئيس مجموعة شركات الكترونية في زيوخ بسويسرا «لدينا الآن القدرة على جعل الكتاب يتحدث». وجورج كيرشير درس علوم الكمبيوتر في جامعة مونتانا وهو كفيف. وأمضى عقدين من الزمن في اقناع الناشرين لاصدار كتب تناسب القراء المكفوفين أو ضعاف البصر.

والتكنولوجيا الرقمية حوّلت القراءة ايضا من تجربة فردية منعزلة إلى أخرى اجتماعية والجيل الجديد من القراء الذي يميل إلى تبادل الرسائل القصيرة والاحاديث عبر الانترنت، وتبادل ومتابعة بيديهات يوتيوب، يظل يحتفظ بحكاياته المفضلة ضمن الانترنت وذلك بعد وقت طويل من الانتهاء من قراءة الكتب. وهناك جماعات محبي القصص الخرافية الرائجة مثل روايات «هاري بوتر» و«توايلايت» من المتحمسين الشباب الذين يجتمعون في شبكة الانترنت للتعاون في وضع حبكة جديدة للقصص يشارك فيها الوحوش، والاشباح واللقاءات السرية والخفية.

مشاركة إبداعية

كما يقوم محبو هذه القصص ضمن منابر اخرى ومن خلال المدونات وغرف تبادل الاحاديث بنسج نهايات مختلفة أو حبكات اضافية ثانوية، واضافتها إلى الاعمال المفضلة لديهم. ويقول الروائي سكوت ويستفيلد «انهم يضيفون ويوسعون العالم الروائي من خلال خلق شخصيات جديدة. وهذا هو ما يفعله القراء الجيدون. انهم يشاركون في النص ويفحصون الاجزاء المختلفة، ويتساءلون عن كيفية تغيير الأمور والعمل على جعلها مختلفة». ويتم جذب المؤلفين الى الساحة من قبل القراء ممن يرسلون لهم سيلاً من الرسائل الإلكترونية للتعرف على ردة فعلهم. وطرح أسئلة عليهم حول كيفية تطور الحبكة، والحصول على إشارات حول الخطوط التالية في الرواية.

ويضيف ويسترفيلد «هناك عملية متابعة مستمرة مع قرائي، فهم يرشدونني كثيراً في ما يتعلق بالطريقة التي يقرأون بها الأعمال، وقد أصبحت أكثر فهما حول هذه المسألة الآن، مقارنة بما كان يحدث عندما كنت أجلس في غرفة مغلقة أكتب لوحدي». وقال انه تلقى أكثر من ثلاثين ألف رسالة الكترونية خلال الأعوام الماضية من القراء، وقد تعلم، على سبيل المثال، ان الكتابة حول النزاعات تزعج قراءة الأصغر سناً.

وفي موقع «تيكست نوفيل. كوم» يقوم الآلاف من المؤلفين وعن طريق الهاتف النقال بكتابة روايات عن طريق أسلوب الرسائل القصيرة في جملة أو جملتين في الدقيقة، ويستطيع الراغبون في التأليف الاشتراك في هذا الموقع المجاني والشروع في الكتابة اما عن طريق الهاتف أو الكمبيوتر، كما يستطيع القراء متابعة القصص على شبكة الإنترنت أو تلقيها في شكل رسالة نصية قصيرة في كل مرة يضيف فيها كاتبهم المفضل حبكة جديدة في النص.

موقع للمبدعين

وموقع تيكست نوفيل تأسس بتبرعات من الأعضاء المشاركين فيه، وهو مثال واحد من عدة أمثلة تشير الى الكيفية التي تحولت بها الإنترنت الى موقع خصب للمبدعين الهواة. وانتشار نصوص المبدعين الهواة وضع الناشرين في حيرة، إذ ان عليهم إيجاد وسيلة للربح في سوق بدأ في الاتساع والازدهار مليء بالنصوص المجانية.

ويقول ريتشارد ناش الرئيس السابق لدار النشر صوفت سكل في نيويورك «لقد بلغنا نقطة وصل فيها العرض مرحلة غير محدودة والسؤال بالتالي: كيف نجعل الناس يلجأون للطلب؟». وقد يكون الحل قد تحقق في موقع «غودريدز. كوم» وهو بمنزلة مكتبة رقمية وموقع لتواصل اجتماعي، حيث يمكن للملايين دخوله وتبادل الحديث حول أي كتاب يرغبون في مناقشته، ومن بينها كتب قد لا تجد طريقها الى النشر. وبينما تسير قراءة النصوص المطبوعة في خط واحد يرسمه الكاتب، تأتي فيه الفصول متتابعة فصلا بعد الآخر، نجد ان الكتب الرقمية تشجع القارئ على ان يتنقل في النص بحرية، حيث يدفع احيانا الى رحلة جانبية قبل الوصول الى اسفل الصفحة.

ويخشى بعض الأكاديميين من هذا النوع الجديد من القراء الذي قد لا تكون لديه قدرة الانتباه لمتابعة الأعمال الأدبية الكبرى مثل رواية «موبي ديك» أو «الحرب والسلام».

غير ان لاري روزين استاذ علم النفس في جامعة كال ستيت يقول انه من الخطأ الاستنتاج ان الشباب الصغير لا يتعلمون كثيرا، لانهم بكل بساطة يتنقلون من مكان ومواقع الى آخر اثناء عملية القراءة. ويضيف ان «الاطفال يقرأون ويكتبون اكثر مما مضى بل ان حياتهم كلها تدور حول الكلمات».

ويقول الدكتور غاري سمول مدير مركز الشيخوخة في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلوس ان الانترنت تنشط اجزاء في الدماغ اكثر من تلك التي تنشطها قراءة كتاب من الكتب. ومن جانب آخر، فان القراء في شبكة الانترنت غالبا ما يعانون مما يصفه الدكتور سمول بـ «الانتباه الجزئي المتواصل» اثناء انتقالهم عبر الضغط على الفأرة من رابط من روابط الكمبيوتر الى آخر. وهناك خشية من التحول الى مجموعة من النمل تسير من دون هدى تتابع فتاتا لا ينتهي من البيانات الرقمية، ويضيف «يميل الناس الى التساؤل: اذا ما كان هذا امر جيدا أم سيئا» وردي على ذلك هو ان قطار التكنولوجيا قد غادر المحطة وانه من المستحيل ايقافه».

عن / لوس انجلوس تايمز

دروس مستوحاة من ثورة حديثة

في عام ٢٠١١ كان وائل غنيم، ناشط الانترنت الذي لعب دورا بارزا في الاحتجاجات ضد النظام المصري، ينشر معظم آرائه بدون اسم على الفيس بوك من دبي الآمنة. في مذكراته الجديدة " ثورة ٢٠ " يستذكر كيف كان يشعر – بعد ان عاد الى مصر في ذروة الازمة – بالحاجة الى ان ينأى بنفسه عن تلك الاحتجاجات لأنه كان يريد تحديث صفحته على الفيس بوك .

ان الثوريين هم ليسوا ما اعتدناهم من قبل . فلاديمير لينين – المفكر الجريء الذي لا يرحم – كان يدرس تاريخ و ممارسة الثورة في اكبر مكتبات لندن و ميونيخ و جنيف، وغنيم (الذي يبلغ الان ٣١ عاما) قد تدرب على هندسة الحاسوب و التسويق. انه يعمل لشركة غوغل و ليس لديه اهتمام كثير بالتاريخ و يجد مثاله الثوري في المنتقم المقنّع في فيلم (ف – تعني فانديتا).

في المستقبل، سيتم نقل الثورات على شاشات التلفاز او التويتر ، من يدري ؟ وتشع مباشرة داخل رؤوسنا، لكن لا نتوقع المزيد من الكتب العظيمة مثل (الى محطة فنلندا) .

هذا لا يهم كثيرا بالنسبة لاولئك الذين يشترون كتاب " ثورة ٢٠ " الذي من المحتمل ان يزداد الاقبال على قراءته من قبل مدمني الانترنت ، خبراء الاعلام، علماء السياسة، مدراء الاعلان، الناشطين، الفوضويين، الثقاة، الشرطة السرية، الدكتاتوريين و منظري ستراتيجيات الدمج.

كأنسان يؤمن بالقدر لا علاقة له بالسياسة من الطبقة الوسطى في مصر، فقد بدأ غنيم بالانجراف الى نشاط التواصل على الانترنت عندما اسس صفحة على الفيس بوك لمحمد البرادعي – أمل مصر في التحرر– بكل جرأة حتى قبل ان يعلم البرادعي نفسه بذلك. مع هذا، فسرعان ما ادرك غنيم بان افضل وسيلة لتوحيد المصريين على الشبكة هي اجتناب الارتباط الشقاقي بأي مجموعة او اشخاص سياسيين موجودين في الساحة، و استمر بتحقيق شهرته بدون اسم على انه مسؤول صفحة يسعى الى تحقيق العدالة لصالح خالد سيد – الاسكندراني البالغ الثامنة و العشرين من العمر و الذي اشعل اغتياله على ايدي رجال الشرطة شرارة الاضطرابات .

في الايام الاخيرة من عام ٢٠١٠ ، و بعد تنظيم عدة احتجاجات ناجحة دعا غنيم الى احتفال مجازي بعيد الشرطة في مصر. لكن في نفس الوقت وصلت انباء انتحار محمد بوعزيزي – البائع التونسي المتجول الذي تعرّض للاهانة من قبل افراد الشرطة التونسية. ثار التونسيون ضد الرئيس زين العابدين بن علي الذي تخاذل و هرب من البلاد .

فجأة اصبح دكتاتور مصر المدعوم من الغرب ، حسني مبارك ، ضعيفا. لقد حانت اللحظة الحاسمة فهل هناك من يستغلها؟ على الفيس بوك قام احد المتشائمين بتأنيب غنيم : " لا احد سيفعل شيئا و سوف ترى. كل ما نفعله هو النشر على الفيس بوك. نحن جيل الفيس بوك". على إثر ذلك دخل غنيم الى الصفحة و قام بتغيير اسم الاحتجاج المخطط له من " الاحتفال بعيد الشرطة المصرية ٢٥ كانون ثاني" الى " ٢٥ كانون ثاني : ثورة ضد التعذيب و الفقر و الفساد و البطالة". و ما تبقى كان تاريخا، مما يعني في هذه الايام اذا لم تكن تعرف ما حدث ، فيمكنك ان تنشره على غوغل.

طار غنيم بكل شجاعة عائدا الى مصر في صبيحة الاحتجاج ، لكنه كان اقل براعة بالعمل في العالم الحقيقي. و رغم عدم اكتشاف السلطات له، فقد اخطأ عندما التقى بائنين من الاميركان من مدراء غوغل التنفيذيين على العشاء في مطعم معروف من مطاعم القاهرة. و لدى خروجه الى الشارع خطفه رجال الامن حتى من دون ان يعرفونه. و عند مواجهته بالمقولة القديمة " نحن نعرف ما فعلت" اعترف على الفور.

بعدها قضى احد عشر يوما شاقة معصوب العينين في سجن انفرادي، بينما بدأت الثورة بدونه. ثم اطلقت الحكومة سراحه، حيث اعتقدت بامكانية استخدامه لتهدئة او للتشويش على حركة التمرد . و بعكس غنيم ، فقد كانت السلطات لاتزال غير مدركة بان الانتفاضة ليس لها زعماء يمكن اعتقالهم او اغواءهم : في تلك الاثناء لم يكن المتظاهرون في ساحة التحرير يعرفون حتى من هو وائل غنيم .

كانت الثورة موجودة في مكان ما في محيط السوق و المسجد و في وسائل الاعلام القديمة و الحديثة – ثورة عابرة. كانت تلك هي قوتها و فيما بعد ضعفها .

يكتب غنيم قائلا "تسارع الاحداث جلب الى البلاد احدى الستراتيجيات الرئيسية التي تعلمتها من الثورة : لغرض تحقيق رؤيتك فانك بحاجة الى اصدقاء و قنوات اتصال اكثر مما تحتاج الى خطط. العالم يتحول بسرعة كبيرة بحيث لا تستطيع افضل الخطط الموضوعة ان توقفه ".

لكن ما كانت بالضبط رؤية غنيم و رفاقه من المسافرين ، عدا اسقاط النظام القديم؟ ما هو البديل؟

يخضع مبارك الان للمحاكمة ، الا ان اتباعه من الجنرالات ما زالوا متمسكين بالسلطة بكل همجية. الانتخابات البرلمانية الاخيرة منحت الموقع الاول و الثاني للاخوان المسلمين المحافظين و للمتطرفين الاسلاميين من حزب النور .

رفض غنيم ، الذي صار بطلا شعبيا بعد المنشورات التي اطلقها، ان يدخل المجال السياسي و بدلا من ذلك اسس منظمة لترويج تعليم الفقراء. انه يواجه الان رد فعل عدائي من بعض اتباعه القدامى حول مختلف الاخطاء التكتيكية و الشخصية .

علّق الممثل الكوميدي البريطاني جون اوليفر مؤخرا قائلا اذا ما حكم الانترنت العالم ، فان الحكومة ستقوم بفرض عقوبة الاعدام على الفرق الغنائية التي لا تعجب الناس. لو كان لينين حيا لأعجبته تلك العقوبة.

اسم الكتاب: ثورة ٢٠
المؤلف: وائل غنيم
ترجمة: عبدالخالق علي

التعصب لفكرة نهاية العالم

كثرت التحذيرات خلال السنوات الأخيرة من المخاطر المهلكة التي تهدد الأرض التي نعيش عليها. ويذهب بعض «أنصار البيئة» ممن يطلقون عليهم تسمية «الخضر» إلى القول إن: "الكوكب الأرضي يسير نحو نهايته".

إن مثل هذه المقولة التي تؤكد على أفق الكارثة يرد عليها المفكر الفرنسي باسكال بروكنر، في كتاب يحمل عنوان: "التعصّب لفكرة نهاية العالم"، مع عنوان فرعي: "إنقاذ الأرض ومعاقبة الإنسان". وهو يردّ في هذا العمل على أولئك الذين يفرطون في تبني الإيديولوجية البيئية، الإيكولوجية، التي تنتشر بقوة وتكاد تصبح "لا إنسانية"، والتي تدعو إلى دحر الإنسان، من أجل "خير الطبيعة".

إن التشخيص الذي يقدمه المؤلف، تتمثل ملامحه الأساسية في القول ان هناك نوعاً من "الرؤية الضيقة" لدى المتطرفين من المدافعين عن البيئة، ومثلما هي العادة عندما تخفّ حدة التهديدات السياسية والإيديولوجية، كما حدث بعد انهيار المعسكر الشيوعي، وما كان يحمله من تهديدات بالنسبة للمعسكر الرأسمالي، يجري اللجوء إلى "اختراع" تهديدات أخرى. كما أن القول، وفي ما يشبه الاعتراف بالذنب، بأن هذه الأرض التي جرى نهبها وتلويثها على مدى قرون، دقّت اليوم "ساعة تمردها". فبهذا المعنى يتم القول اننا دخلنا "أفق نهاية العالم". ومثل هذه المقولة ولدت حالة من الخوف العميق الذي يمكن أن يولّد الاستسلام أمام جميع الأفكار المتزمتة، وبدلاً من تعبئة الطاقات من أجل مجابهتها، يسود الميل نحو "كبح" التعبئة المنشودة. ولكن ماذا يمكن فعله أمام الكارثة "المبرمجة"؟ هذا ما يسأله المؤلف. ويجيب بأنه قد لا يمكن فعل الكثير، فإمّا أن "الوقت قد تأخر كثيراً"، أو أن "ما يمكن فعله هو أقل بكثير مما ينبغي". ويكتب المؤلف كي يشير إلى إحدى المفارقات في الأحكام الصارمة التي يصدرها "المتطرفون" في الدعوة لحماية البيئة، ما مفاده: "لقد أرادوا أن يقرعوا نواقيس الخطر لإثارة انتباهنا، ولكنهم لم ينجحوا سوى في نزع كل أسلحة المقاومة لدينا". وتحت عنوان: "التقهقر المعاشي الكبير"، الذي يشكل القسم الثالث من الكتاب، يشرح المؤلف أن الغرب الذي يعيش "عقدة الذنب" حيال سلوكياته الاستهلاكية وتثقل عليه الحسرة، بعد ما اقترفه خلال فترة الاستعمار، يترك نفسه عرضة لحالة من التشاؤم حيال المستقبل. وهكذا ذهب باتجاه التخويف من هذا المستقبل، والتأكيد على "الكارثة الطبيعية القادمة". ولكنه نسي مقولة جان جاك روسو الشهيرة، القائلة: إن "حالة الطبيعة ليست سوى أحد اختراعات التقدم". ويشرح باسكال بروكنر أن الرأسماليين "المتراجعين" أصبحوا يدعون إلى ضرورة الاهتمام بالذات، بعيداً عن تطلعات الآخرين "الباحثين عن اللحاق بالأثرياء". وعلى مثل هذه الخلفية شاعت دعوات في الغرب للاستهلاك "أقل" و "أفضل". وكذا للحد في الوقت نفسه، من البحث العلمي، ومن الحركة، وذلك "كما لو أن العدو الحقيقي للتيار الداعي لحماية البيئة، هو الحركة"، حسب تعبير المؤلف. إن هذا كله يجري باسم "تفوق النوع على الكم"، في نوع من تكريس توجه جديد، يقول بضرورة "وضع نقاب الحزن الأسود على كل المباهج الإنسانية".

إن التشخيص الذي تؤكد عليه المؤلف، تتمثل ملامحه الأساسية في القول ان هناك نوعاً من "الرؤية الضيقة" لدى المتطرفين من المدافعين عن البيئة، ومثلما هي العادة عندما تخفّ حدة التهديدات السياسية والإيديولوجية، كما حدث بعد انهيار المعسكر الشيوعي، وما كان يحمله من تهديدات بالنسبة للمعسكر الرأسمالي، يجري اللجوء إلى "اختراع" تهديدات أخرى. كما أن القول، وفي ما يشبه الاعتراف بالذنب، بأن هذه الأرض التي جرى نهبها وتلويثها على مدى قرون، دقّت اليوم "ساعة تمردها". فبهذا المعنى يتم القول اننا دخلنا "أفق نهاية العالم". ومثل هذه المقولة ولدت حالة من الخوف العميق الذي يمكن أن يولّد الاستسلام أمام جميع الأفكار المتزمتة، وبدلاً من تعبئة الطاقات من أجل مجابهتها، يسود الميل نحو "كبح" التعبئة المنشودة. ولكن ماذا يمكن فعله أمام الكارثة "المبرمجة"؟ هذا ما يسأله المؤلف. ويجيب بأنه قد لا يمكن فعل الكثير، فإمّا أن "الوقت قد تأخر كثيراً"، أو أن "ما يمكن فعله هو أقل بكثير مما ينبغي". ويكتب المؤلف كي يشير إلى إحدى المفارقات في الأحكام الصارمة التي يصدرها "المتطرفون" في الدعوة لحماية البيئة، ما مفاده: "لقد أرادوا أن يقرعوا نواقيس الخطر لإثارة انتباهنا، ولكنهم لم ينجحوا سوى في نزع كل أسلحة المقاومة لدينا". وتحت عنوان: "التقهقر المعاشي الكبير"، الذي يشكل القسم الثالث من الكتاب، يشرح المؤلف أن الغرب الذي يعيش "عقدة الذنب" حيال سلوكياته الاستهلاكية وتثقل عليه الحسرة، بعد ما اقترفه خلال فترة الاستعمار، يترك نفسه عرضة لحالة من التشاؤم حيال المستقبل. وهكذا ذهب باتجاه التخويف من هذا المستقبل، والتأكيد على "الكارثة الطبيعية القادمة". ولكنه نسي مقولة جان جاك روسو الشهيرة، القائلة: إن "حالة الطبيعة ليست سوى أحد اختراعات التقدم". ويشرح باسكال بروكنر أن الرأسماليين "المتراجعين" أصبحوا يدعون إلى ضرورة الاهتمام بالذات، بعيداً عن تطلعات الآخرين "الباحثين عن اللحاق بالأثرياء". وعلى مثل هذه الخلفية شاعت دعوات في الغرب للاستهلاك "أقل" و "أفضل". وكذا للحد في الوقت نفسه، من البحث العلمي، ومن الحركة، وذلك "كما لو أن العدو الحقيقي للتيار الداعي لحماية البيئة، هو الحركة"، حسب تعبير المؤلف. إن هذا كله يجري باسم "تفوق النوع على الكم"، في نوع من تكريس توجه جديد، يقول بضرورة "وضع نقاب الحزن الأسود على كل المباهج الإنسانية".

إن التخويف من الكارثة البيئية القادمة والتهديد بـ"نهاية العالم"، يضعه أنصار البيئة، كما يشرح المؤلف، تحت راية "محبّة الطبيعة"، ولكن لهذه المحبّة، وجهها الآخر الذي يحدده بـ"كره البشر". ويقول بروكنر صراحة: "إن الرغبة الحقيقية وراء مثل ذلك التوجه، ليس منبعها إنقاذ الطبيعة، لكن عقاب البشر".

ولا يتردد المؤلف، أيضاً، في إطلاق صفة "الظلامية الجديدة" التي لا يمكنها أن تتماشى مع ذهنية عصر التنوير، إذ جعلت من الفرد– الإنسان، محور اهتماماتها. وبهذا المعنى يبحث عن تكريس منهج في الفكر والممارسة، ويؤكد فيه على كل ما يتعلق بالإنسان وثرواته وبالحياة وطيباتها. وكذلك يؤكد فكرة "التقدم" التي يرى بها المحرك الأساسي من أجل "الإجابة على تحديات العالم القادم". وليس بواسطة الدعوة إلى "حركة تقهقر عامّة"، باسم حماية الطبيعة. وأما سبل التقدم فيتم تحديدها بـ"زيادة البحث العلمي، وبتفجير جميع الطاقات الإبداعية الخلاقة، وبقفزة لا سابق لها، على صعيد المنجزات التكنولوجية". ويختتم المؤلف جملته الأخيرة في الكتاب: "إن البشرية لن تحرر إلا من أعلى".

الكتاب: التعصب بفكرة نهاية العالم
تأليف: باسكال بروكنر
الناشر: غراسيه باريس ٢٠١١

تاريخ الجمال

صدر حديثاً عن المنظمة العربية للترجمة كتاب: «تاريخ الجمال: الجسد وفن التزيين من عصر النهضة الأوروبية إلى أيامنا» تأليف جورج فيغاريلو، ترجمة جمال شحيّد. لقد تغيّرت قوانين الجمال بحسب الحقب، ويُبرز هذا الكتاب تحوّلاتها. كما يصف تاريخ الجمال هذا ما يُعجب أو ما لا يُعجب في الجسد، ضمن ثقافة وزمن محدّدين: أي الطلّة والقسمات المجمّلة، والأعطاف اللافتة أو المنتقصة، ووسائل التجميل المعاد تقويمها. ولا شك أن المتخيّل يأخذ في هذا التاريخ دوراً يتماشى مع القيم السائدة في كل فترة من الفترات. لم يكفّ الجمال عن ابراز شخصية الأفراد، وفي الوقت ذاته كان يُظهر التباينات القائمة بين الفئات الاجتماعية والأنماط والأجيال. ولأن الجمال موضوع مثير للقلق أو التفاخر أمام المرآة، فهو أيضا مرآة المجتمعات. يذكر أن جورج فيغاريلو: مدير الأبحاث في مدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية بباريس. ويقع الكتاب في ٤٦٤ صفحة.

منها كتب لينين وجيمس جويس ومارك توين

كتاب تعرضت مؤلفاتهم للحظر

اختارت مؤسسة المكتبة الحديثة رواية «عوليس» للروائي الايرلندي جيمس جويس كأفضل رواية صدرت في القرن العشرين، وقد لاقت هذه الرواية الشهيرة اشادة من عدد من كبار النقاد والاكاديميين، غير ان رواية «عوليس» كان قد حظر توزيعها في الولايات المتحدة ١٥ عاما، حيث اعتبرت انها اباحية وصادرتها سلطات البريد الاميركية في عامي ١٩١٨ و١٩٢٠، وقد جاء رفع الحظر عليها في عام ١٩٣٣ بعد معركة قانونية في قاعات المحاكم للحصول على الحق في نشرها.

اعداد / احمد قاسم

وفي عام ١٩٣٠ صادرت سلطات الجمارك الاميركية نسخا من رواية «كانديه» للاديب الفرنسي فولتير التي تعتبر من كلاسيكيات الادب الفرنسي، حيث اعتبرت أنها فاضحة، وقد دافع استاذان من جامعة هارفرد عن هذا العمل الادبي وتم السماح بتوزيعها بطبعات مختلفة، وفي عام ١٩٤٤ طلبت سلطات البريد الاميركية ازالة «كانديه» من كاتالوج كونكورد لتوزيع الكتب عبر البريد.

ولقد ظلت رواية جون كليلاند «فاني هيل» تواجه المنع منذ طبعها اول مرة في عام ١٧٤٩، وتتناول الرواية قصة مومس وما واجهته في حياتها، وقد برأت المحكمة العليا الاميركية الرواية من تهم الاباحية التي وجهت اليها في عام ١٩٦٦.

كما واجهت بعض الاعمال الادبية الكلاسيكية مثل «ليسيستراتا» لاريستوفان و«حكايات كانتربري»لشوسر و«ديكاميرون»لبوكاشيو و«مول فلاندرز» لديفو، الحظر لعدة عقود في اميركا بموجب قانون كومستوك لعام ١٨٧٣. كما واجهت «ليسيستراتا» عمل اريستوفان الشهير المعادي للحرب، الحظر مرة اخرى في عام ١٩٦٧ في اليونان التي كانت تخضع في تلك الفترة لحكم الطغمة العسكرية الدكتاتورية.

وقد تم سحب مجموعة «اوراق الحشيش» الشعرية الشهيرة للشاعر والت وايتمان في بوسطن في عام ١٨٨١ بعدما هدد النائب العام بتوجيه تهم جنائية لوايتمان لاستخدامه لغة فاضحة في بعض القصائد، ولكن تم نشر الديوان لاحقا في فيلاديلفيا.

كما جرى حظر السيرة الذاتية للاديب والمفكر الفرنسي جان جاك روسو «الاعترافات» من قبل سلطات الجمارك الاميركية في عام ١٩٢٩ لتأثيرها على الاخلاقيات العامة، وقد حظرت كذلك اعماله الفلسفية في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٣٥، ووضعت بعض اعماله هذه في قائمة الكتب المحظورة في الكنيسة الكاثوليكية

في القرن التاسع عشر

ووجهت تهمة الخيانة العظمى في انكلترا في عام ١٧٩٢ للكاتب توماس بين لمقالاته التي كانت تساند حركة الاستقلال الاميركية وبسبب كتابه «حقوق الإنسان» الذي يدافع فيه عن الثورة الفرنسية.

كما واجهت اعمال المؤلف جاك لندن حظر الرقابة في عدة دول دكتاتورية اوروبية إبان العشرينات من القرن الماضي. وفي عام ١٩٢٩ حظرت ايطاليا اعماله التي وصفت بانها «راديكالية للغاية». وحرق النازيون بعض اعماله ذات التوجه الاشتراكي الى جانب اعمال للعديد من الكتاب الآخرين.

اما نظام الفصل العنصري في جنوب افريقيا فقد حظر عددا من الاعمال الكلاسيكية، ففي عام ١٩٥٥ على سبيل المثال، اوردت صحيفة «نيويورك تايمز» تقريرا يشير الى انه تم حظر رواية «فرانكشتين» لماري شيلي هناك حيث وصفت بانها «غير مهذبة وفاضحة». كما ورد ان النظام حظر رواية آنا سيويل «الأسود الجميل» وهي رواية حول حصان اسود.

وفي الفترة التي ساد فيها التوتر حدثت حالات حظر للكتب بدوافع سياسية في الولايات المتحدة، ففي عام ١٩٥٤ حاول مكتب بريد مدينة بروفيدنس بولاية رود ايلاند منع تسليم كتاب لينين «الدولة والثورة» الى جامعة براون بالادعاء انه «يثير الاضطرابات». وفي عام ١٩١٨ ابلغت وزارة الحربية الاميركية اتحاد المكتبات الاميركية ازالت عدد من الكتب ذات التوجه السلمي، وتلك «المزعجة» من مكتبات المعسكرات.

وخلال الحرب العالمية الاولى اعتقلت الحكومة الاميركية بعض المواطنين ممن كانوا يقومون بتوزيع بعض المنشورات المعارضة للتجنيد الاجباري.

وفي الاتحاد السوفيتي في الفترة ما بين عام ١٩٢٦ و١٩٥٦ جرى ازالة نسخ الانجيل والمصاحف من العديد من المكتبات كما حظر استيرادها الى البلاد.

وقد واجهت رواية «عشيق الليدي تشاترلي» للروائي الانكليزي دي- اتش لورنس العديد من القضايا في المحاكم بتهمة الاباحية في كل من بريطانيا والولايات المتحدة ابان الستينات من القرن الماضي.

وهناك عدد من الدول الديموقراطية ومن بينها النمسا وفرنسا والمانيا وكندا جرّمت اشكالا مختلفة من «التعبير عن الكراهية» ويشمل ذلك الكتب التي تعتبر انها تسيء الى الاقليات.

وفي عام ٢٠٠٣ حظرت محكمة اميركية بيع كتاب «المافيا الفدرالية» من تأليف ايروين شيف الذي ادعى ان في مقدور الاميركيين شرعيا عدم تسديد ضريبة الدخل.

وعلى الرغم من ادعاءات مثل هذه، ومن بينها قضية شيف واجهت الفشل المتكرر في المحاكم، لكن هذا الأمر اثار قلق جماعات الحقوق المدنية والمدافعين عن الكتاب في اميركا ورفعوا مذكرة تدافع عن حق شيف في نشر كتابه. وقد تم تأييد حكم المحكمة في عام ٢٠٠٤، وردّ شيف على الحظر على بيع الكتاب بتوزيعه بالمجان بدل ذلك.

غير مناسب للمدارس والصغار!

أوردت صحيفة «سافناه مورنينغ نيوز» في نوفمبر ١٩٩٩ ان احد المدرسين في مدرسة فوريست الثانوية طلب من تلاميذه الحصول على اذن من اولياء امورهم قبل السماح لهم بقراءة مسرحيات «هاملت» و«ماكبث» و«الملك لير»، وكانت لجنة المدرسين في المكتبة ازالت هذه الكتب من قوائم الكتب المقررة قراءتها، مشيرة الى وجود «لغة تصلح فقط للبالغين» فيها، واشارات الى الجنس والعنف. وقد احتج العديد من الطلاب واولياء امورهم على سياسة لجنة المدرسين التي تشمل ايضا الحظر الشامل لثلاثة كتب اخرى. ووليام شكسبير معتاد على سطوة الرقابة، فقد اوردت وكالة اسوشيتد برس في مارس عام ١٩٩٦ ان مدارس مدينة ميرماك بولاية نيوهامبشير سحبت مسرحية شكسبير «الليلة الثانية عشرة» من المنهج الدراسي، وذلك بعد ان صادق مجلس ادارة المدرسة على «حظر تعليم اساليب الحياة البديلة»، وتشتمل المسرحية المذكورة على عدد من العلاقات الرومانتيكية، من بينها علاقة شابة صغيرة غيرت شكلها لتبدو كصبي، ولكن في عام ١٩٩٩ تم اسقاط الاعضاء ممن صوتوا لمصلحة ذلك القرار من عضوية مجلس المدرسة بعد الضجة التي اثارها اصدار ذلك القرار، وأصبحت المسرحية ضمن منهج المدرسة الدراسي مرة أخرى.

وفي عام ١٩٢٥ دين جون سكوب لتدريس نظرية النشوء والارتقاء لطلابه في المدرسة الثانوية واستخدامه كتاب «أصل الأنواع» لشارلز داروين، غير ان قانون ولاية تينيسي الاميركية الذي يحظر تدريس نظرية النشوء والارتقاء تم الغاؤه اخيرا في عام ١٩٦٧، ولكن مازالت هناك بعض التشريعات التي تهدف الى منع تدريس هذه

لينين

جيميس جويس

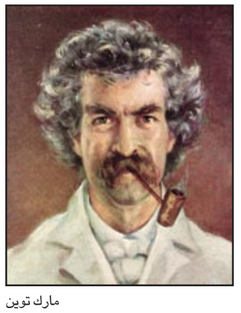
مارك توين

النظرية في حصص العلوم ظلت تطرح الى وقت ليس بالبعيد يعود الى عام ١٩٩٦.

وقد تم حظر نسخه بالرسومات لحكاية «ذات الرداء الاحمر» في مدارس كاليفورنيا في عام ١٩٨٩ويعرض الكاتب رسما يظهر البطلة وهي تأخذ الطعام والنبيذ لجدتها، وقد اعترضت ادارة المدارس على استخدام الكحول في القصة.

كما جرى استبعاد روايتي «توم سوايز» و«هكلباري فين» لمارك توين اثناء حياته من قسم الصغار في مكتبة بروكلين العامة الى جانب مكتبات اخرى، وسحبتا كذلك من مكتبة مدينة كونكورد، وقد اقدمت بعض المدارس الثانوية في السنوات الاخيرة على استبعاد رواية «هكلباري فين» من قوائم القراءة ورفع بعض اولياء الامور قضايا ضد مدارس لدفعها لاستبعاد الرواية.

وقد اعتبر العديد من الاعمال «الكلاسيكية» وكذلك من مؤلفيها بأن هذه الاعمال فضائحية عندما نشرت للمرة الاولى، ولكن بعد وفاة المؤلفين باتت موجودة في المدارس الثانوية ونسيها معظم الناس، ولكن وفي عام ١٩٧٨ تنبهت الادارة التعليمية للمدارس الثانوية في مدينة أنهايم بولاية كاليفورنيا الى خطورة رواية جورج اليوت «سايلس مارنر» وحظرت تدريسها، وقد ادى ذلك الى زيادة الاهتمام بعمل اليوت في اوساط الطلاب في أنهايم، كما تم هناك ايضا حظر رواية مارغريت ميتشل الشهيرة «ذهب مع الريح» لتصويرها لتصرفات بطلة الرواية سكارليت اوهارا وسلوك العبيد المحررين، وتعتبر هذه من بين الاعمال الادبية التي حظرت لاسباب اجتماعية.

وكانت مسرحية شكسبير «تاجر البندقية» قد حظرت في مدينة ميدلاند بولاية ميتشيغان في عام ١٩٨٠ بسبب تصويرها لشخصية اليهودية شايلوك. وكانت قد حظرت لأسباب مشابهة في الثلاثينات من القرن الماضي في مدينتي بافلو وماتشستر بولاية نيويورك، كما كانت مسرحيات شكسبير غالبا ما تتعرض لعمليات «تطهير» من الكلمات والعبارات غير اللائقة.

التطهير مستمر

وعمليات التطهير والتنقيح مازالت مستمرة إلى اليوم، فبين آن عمليات تنقيح الإشارات الجنسية باتت تفقد شعبيتها، بينما زادت شعبية الإشارات العرقية، فرواية «حكاية الدكتور دوليتل» ظلت تتعرض سراً لـ «التطهير» من السنينات في القرن الماضي، حيث تعرضت إلى تنقيح الأصل الذي صدرت به في العشرينات من القرن المذكور، والتي نجد بها شخصية تستخدم عبارات غير مهذبة عند إشارتها للسود. وفي عام ١٩٨٨، وبعد أن فقد الكتاب الاهتمام، حتى إنه نفذ في المكتبات، أصدر الناشرون نسخة حديثة أزيلت منها جميع الإشارات تقريباً والتي تشير إلى مسألة العرق في الكتاب، واستبعدت الحبكة التي تشير إلى رغبة الأمير بومبو في التحول إلى شخص أبيض اللون. وفي المقابل، فان نسخة دار نيوبري- وينتج لكتاب «رحلات الدكتور دوليتل» متوافرة في شكلها الأصلي، كما هي، بما في ذلك العبارات غير المهذبة وغيرها.

وقد أدت اعتبارات مشابهة حول كيفية التعامل مع قضايا العرق إلى حظر كتاب «حكاية سامبو الأسود الصغير» في المدارس الحكومية في تورنتو في عام ١٩٥٦، وأكثر الجدل ثار حول الرسومات وليس النص في حد ذاته.

المهاتما غاندي .. حياة وجهاد

القاهرة - أ ش أ

مع تعاظم الدور السياسي الذي لعبه المهاتما غاندي في مقاومة الاستعمار البريطاني في الهند تحول غاندي إلى أسطورة فريدة لفتت أنظار العالم كله وبلغ مكانة لم يبلغها أحد من الهنود قبله أو بعده فلقد قاد غاندي حملات وطنية لتخفيف حدة الفقر وزيادة حقوق المرأة وبناء وئام ديني ووطني وزيادة الاعتماد علي الذات اقتصاديا.

فصدر عنه العديد من الكتب والدراسات التي تتناول تلك الشخصية الثرية ومنها كتاب "المهاتما غاندي .. حياته وجهاده"، الصادر حديثا عن الهيئة العامة لقصور الثقافة للكاتب فتحي رضوان الذي يكشف فيه العديد من الجوانب في حياة غاندي وجهاده.

ويبدأ المؤلف كتابه عن غاندي فيرصد عنه انه كان مزجا دقيقا من والديه فكان يثير الدهشة والإعجاب ويستوقف الدارسين والفاحصين فكان جده لأبيه وزيرا للمالية في ولاية جوناجاد الهندية وكان يمتاز بالمهارة في الحكم وصار على دربه ابنه والد غاندي فكان أيضا من رجال الحكم واتصف بالصلابة والعند وقوة النفس فورث غاندي هذه الصفات التي كان أثرا كبيرا في شخصيته بعد ذلك.

ويضيف : حدث تحول كبير لغاندي فبعد أن انتهي من المرحلة الثانوية أراد الالتحاق بالكلية فالتحق بإحدى الكليات لكنه كان لا يحب الدراسة بها فاقترح احد أقاربه عليه السفر للتعليم في انجلترا فسافر بالفعل رغم الصعوبات التي قابلها من جانب أهله إلا انه انتصر وسافر ودرس القانون وتأثر بمظاهر الحياة في انجلترا وقد انتهي من دراسته في عام ١٨٩١ وبعدها عاد إلي الهند.

وننتقل إلي المعركة الأولي في حياة غاندي، بحسب الكاتب، وذلك عندما رجع إلي بلاده حيث لم يجد الجو مناسبا للعمل فسافر إلي جنوب أفريقيا حيث كان في ذلك الوقت الكثير من الهنود يسافرون للعمل في جنوب أفريقيا لكن هناك في انتظاره مفاجأة كبرى حيث رأى تلك التفرقة العنصرية الشديدة للهنود والاضطهادات التي يتعرضون لها فكانوا لا يخرجون في المساء من منازلهم إلا بتصريح وكذلك لا يستطيعون السير أمام الأماكن المهمة خاصة وأن لونه اسمر فتعرض للتعسف والاعتداء لكنه ما لبث أن قاوم وأدرك أن رسالته هي الدفاع عن الهنود في جنوب أفريقيا فبدأ يترافع في القضايا ويكسبها.

ويذكر المؤلف فتحي رضوان أن غاندي قابل المندوب البريطاني حيث كانت جنوب أفريقيا تحت الاحتلال الانجليزي فعرض عليه هذه الانتهاكات وهذه القوانين الظالمة فهنا كما يقول المؤلف "لقد بدأت أوربا عارية أمام غاندي سقط عنها كل ستر وظهرت كل فضائحها كل عيوبها لم تكن أوربا في جنوب أفريقيا هي أوربا ذات المبادئ والتعاليم الإنسانية بل كانت أوربا قارة سوداء ضميرها اشد سوادا من وجه الزنوج" فكان تلك معركة غاندي الأولى أما معركته الكبرى عندما ترك جنوب أفريقيا وعاد إلى وطنه الهند الذي كان تحت الاحتلال الانجليزي .

وننتقل إلي المعركة الكبرى في حياة غاندي وهي استقلال الهند وذلك عندما عاد غاندي إلى الهند عام ١٩١٢ واخذ يطوف البلاد ويتصل بقراها ويزور مدنها إتباعا لنصيحة أستاذه زعيم الهند السابق "جوكهال" وركز عمله العام على النضال ضد الظلم الاجتماعي من جهة وضد الاستعمار من جهة أخرى واهتم بشكل خاص بمشاكل العمال والفلاحين والمنبوذين وبدأ يعترض على الأمور والأحوال السيئة فاعترض علي قانون الهجرة ويحرك الرأي العام ضد هذا القانون كذلك وقف مع الفلاحون الذين تعرضوا لدفع ضرائب فوق طاقتهم، لذلك قام بتنظيم احتجاجات بمشاركة الفلاحين والمزارعين والعمال في المناطق الحضرية ضد ضرائب الأراضي المفرطة والتمييز في المعاملة .

وكان في كل مكان يتكلم ويتلقى الحماسة والتأييد وبدأ يتعرض للمضايقات من الحكومة والشرطة ولكنه كان يقف أمامهم بكل قوة والرد علي كلامهم كما اهتم بالتعليم ودعا الهنديون المتعلمون لتعليم الأطفال في الأماكن التي لا يوجد بها مدارس فلب الدعوة عدد كبير من الهنديين وفي غضون سنوات قليلة من العمل الوطني أصبح الزعيم الأكثر شعبية.

ويؤكد المؤلف أن مواقف غاندي تميزت من الاحتلال البريطاني لشبه القارة الهندية في عمومها بالصلابة المبدئية التي لا تلغي أحيانا المرونة التكتيكية وتسبب تنقله بين المواقف القومية المتصلبة والتسويات المرحلية المهادنة حرجا مع خصومه ومؤيديه وصل أحيانا إلى حد التخوين والطعن في مصداقية نضاله الوطني من قبل المعارضين لأسلوبه فعلى سبيل المثال تعاون غاندي مع بريطانيا في الحرب العالمية الأولي ضد دول المحور كما شارك عام ١٩١٨ بناء على طلب من الحاكم البريطاني في الهند بمؤتمر "دلهي الحربي" ثم انتقل للمعارضة المباشرة للسياسة البريطانية بين ١٩١٨ و ١٩٢٢ وطالب خلال تلك الفترة بالاستقلال التام للهند. ويبرز المؤلف قيام غاندي بحركة عصيان مدني عام ١٩٢٢ صعدت من الغضب الشعبي الذي وصل في بعض الأحيان إلى صدام بين الجماهير وقوات الأمن والشرطة البريطانية مما دفعه إلى إيقاف هذه الحركة ورغم ذلك حكمت عليه السلطات البريطانية بالسجن ست سنوات ثم عادت وأفرجت عنه في عام ١٩٢٤.

ويشير المؤلف إلى أنه في عام ١٩٣٢ قرر غاندي البدء بصيام حتى الموت احتجاجا على مشروع قانون يكرس التمييز في الانتخابات ضد المنبوذين الهنود، مما دفع بالزعماء السياسيين والدينيين إلى التفاوض والتوصل إلى "اتفاقية بونا" التي قضت بزيادة عدد النواب "المنبوذين" وإلغاء نظام التمييز الانتخابي.

ويرصد المؤلف مسيرة الملح التي قام بها غاندي فقد تحدي غاندي القوانين البريطانية التي كانت تحصر استخراج الملح بالسلطات البريطانية مما أوقع هذه السلطات في مأزق وقاد مسيرة شعبية توجه بها إلي البحر لاستخراج الملح من هناك وفي عام ١٩٣١ أنهي هذا العصيان بعد توصل الطرفين إلي حل وسط ووقع معاهدة غاندي ايروين.

ويختم المؤلف فيقول عن غاندي " ستعود الناس لتذكره ستصفه الأقلام ستصوره ألواح المصورين سيبقي حيا في ذاكرة الهنود في ذاكرة التاريخ كله من سجن إلي سجن ومن صوم إلى الصوم ومن عذاب إلى عذاب والابتسامة علي شفته

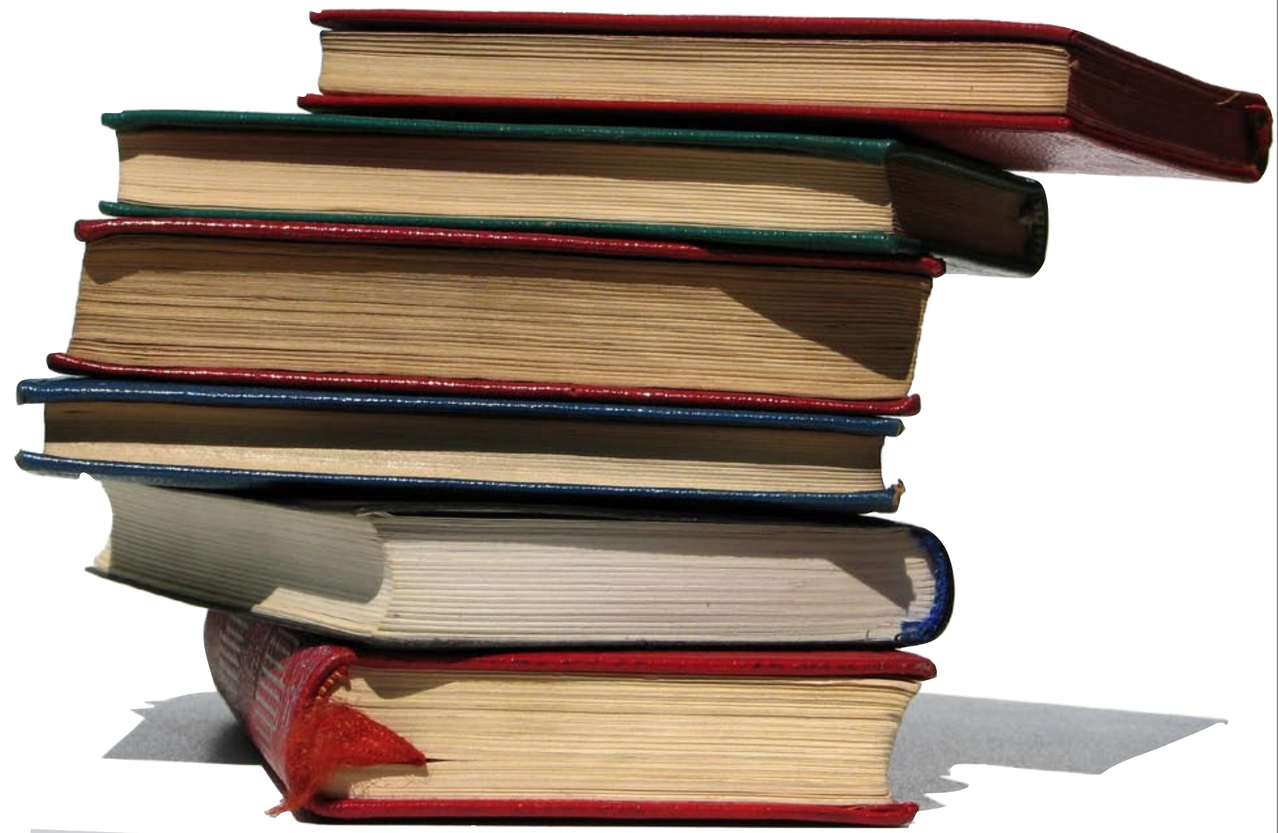

باسترناك و ستالين و الدكتور زيفاكو

ترجمة عادل صادق

قالت الشاعرة الروسية مارينا تسفيتيفا ذات مرة إن بوريس باسترناك كان يبدو شبيها بعربي و حصانه. و في الثلاثينيات كان هناك كارتون سوفييتي يصوره كأبي هول طويل الفكين، و برائته مكوّرة على منضدة قراءة كنسية. و كمتحدث عام فإنه كان غير مفهوم. و نتاجه صعبٌ على الترجمة كما هو مشهور بشكل سيء.

و في أيامه الصعبة على نحوٍ متزايد، أصبح من الأكثر أمناً له أيضاً أن لا يُفهم بسهولة. فعندما راح ستالين يُفزع الحياة خارج محيطه بمكالمة تلفونية "ودية" عند منتصف الليل ـ حسَنٌ؟ ما الذي يمكنك قوله عن قصيدة ماندلستام Mandelstam's تلك؟ ـ ردَّ باسترناك بمناقشة تأملية لما كانت، بالنسبة له، القضية الأساسية لحق الإنسان في ما يتعلق بالحياة و الموت. و كان ذلك يحمل بعض المخاطر له مع الطاغية القاتل. و لحسن الحظ، لم يكن لدى ستالين ما يكفي من الصبر لفهمه، و قطع المكالمة. هذه المرة، كان الحكم على تلك القصيدة المضادة لستالين شكلاً لطيفاً من النفي ـ لكن في تطهير عام ١٩٣٧ الكبير كان واحداً من ٤٤،٠٠٠ المقرر تصفيتهم. و إلى جنب اسم باسترناك، خربش ستالين أمراً على نحوٍ يحسّن سمعته "لا تمسّوا ساكن السحاب هذا"!

كما أن عمل باسترناك الفكري صعب لأن توجهه العقلي معقد، و ترابطي على نحو مثير للعواطف synaesthetic and polysemous. و معجم مُفرداته واسع بشكل استثنائي، و فكره له طلعة ميتافيزيقية واضحة.

و هو يخبرنا أن يوري زيفاغو كان يحلم، منذ أيام المدرسة، بتأليف "كتاب انطباعات عن الحياة يُخفي فيه، مثل عصي الديناميت، أكثر الأشياء إثارة للدهشة التي رآها حتى ذلك الوقت". فكان "دكتور زيفاكو" ذلك الكتاب. و كان محزوماً بالديناميت و قد انفجر في وجهه.

لقد كان باسترناك أول كاتب في النظام السوفييتي يجرؤ على نقل الحقيقة المتعلقة بتاريخ روسيا الحديث. ففي مدة ٤٠ عاماً قاسى الروس من جيله أهوال حربين عالميتين؛ و ثلاث ثورات؛ و حرب أهلية و مجاعة؛ و كوارث الجماعية؛ و حملات تطهير المفكرين و المثقفين، و القوات المسلحة، و النخبة السياسية السوفييتية و الكولاك. جوع، و أكل لحم البشر، و قتل، و انتقامات، و مذابح مشرعَنة ـ و لا شيء يوجز هنا في خصوصية الرواية المتماسكة. و تنتهي بـ (ذوبان كروسكيف)، و هو احتفال تجريبي بـ "حرية جديدة للروح" مجسدة في الكتاب الذي كتبه زيفاغو قبل موته.

و قد أحبطت آمال باسترناك حين سُحبت الطبعة الروسية من (زيفاغو) من المطبعة السوفييتية. و في عام ١٩٥٨، صادف نشرها في الغرب جائزة نوبل، التي مُنحت لباسترناك على إنجازاته الشعرية و عمله "في التقليد الملحمي الروسي العظيم"، رابطين بوضوح (دكتور زيفاكو) برائعة تولستوي (الحرب و السلام). و كان رد الفعل السوفييتي على ذلك اعتبار باسترناك خائناً؛ فطُرد من اتحاد الكتّاب، و سُلب رزقه، و جرى تشويه سمعته في الصحافة. و قد رفض أن يسعى إلى منفىً في الغرب، و رفض جائزة نوبل. و توفي في غضون عامين من ذلك.

عن / The Guardian

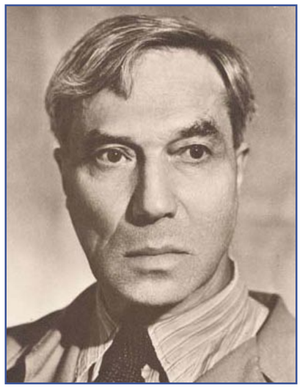

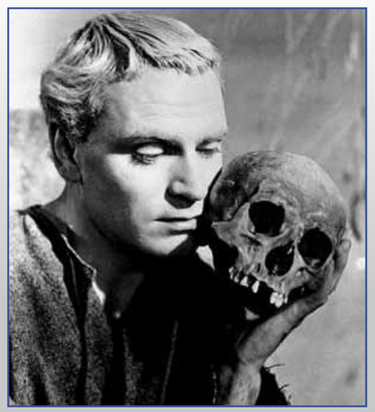

هـامـلـت

بوريس باسترناك

تنحسر الدمدمات؛ و أنا أدخل على المسرح.
أحاول، أن أقفَ في الباب،
لأكتشف في الأصداء البعيدة
ما الذي تحمله معها السنوات القادمة.
إن الظلمة الليلية بألف
منظار مركزة عليّ.
فأبعد هذه الكوب، يا أبي،
فكل شيءٍ ممكن بالنسبة لك.
إنني معجَب بخطتك العنيدة هذه،
و أنا مقتنع بأن تلعب دوري.
لكن الدراما الأخرى في تقدم،
فاعفني، هذه المرة.
لكن خطة العمل مقرّرةٌ،
و النهاية مختومة sealed بشكل نهائي.
إنني لوحدي؛ كل مَن حولي يغرقُ في الزيف :
فالحياة ليست نزهة عبرَ حقل.

معرض القاهرة للكتاب ميدان جديد لإختلاط السياسة بالثقافة

دويتشه فيله

افتتحت الدورة الثالثة والأربعون لمعرض القاهرة الدولي للكتاب تحت عنوان معرض كتاب ثورة ٢٥ يناير على وقع الاحتفالات بمرور عام على الثورة المصرية. مراسل دويتشه فيله في القاهرة جال في أروقة المعرض وكتب التحقيق التالي.

الدولة المدنية، شهادات ميدان التحرير، المدونات بين السياسة والأدب، شعراء الميدان، هي عناوين فعاليات وزارة الثقافة في اليوم الأول للجمهور، وكأن فيما سيطرت أجواء الرحلة العائلية على المشهد العام. فالأسر المصرية، وفقا لمتولي متولي صاحب المكتبة الفاطمية بسور الأزبكية، جاءت مشتاقة للكتب بعد عامين من توقف المعرض. وعلى بسطة كتبه تنوع الزبائن من الكبير إلى الصغير، ميديا تفاؤله بتحقيق مكاسب هذا العام، قد تعوضه عن ما خسره العام الماضي، حين فاجأت الثورة المعرض فخسر هو وأمثاله أموالهم وموسم بيعهم الأهم.

وفي هذا الإطار يقول متولي، بأنه مازال مؤمنا بالثورة رغم خسائر العام الماضي فهناك جو عام من التفاؤل بيننا ولا أتوقع أن تحدث أية صدامات. وقد انعكست أجواء هذا التسهيل في علاقتنا بإدارة المعرض، فقد خفضوا لنا إيجارات الأماكن، وقدموا لنا دعما تنظيميا رائعا.

تفاؤل وتسهيلات لصغار تجار الكتب

على الجانب التجاري والعملي، بدت ساحات المعرض محتشدة نسبيا مقارنة بأعوام مضت، وبحضور أمني غير مكثف سيطر الجمهور ودور النشر الإسلامية على المشهد.

كما حاولت إدارة المعرض تخصيص أو جمع تلك الدور في قاعات شبه منفصلة، فيما سيطرت أجواء الرحلة العائلية على المشهد العام. فالأسر المصرية، وفقا لمتولي متولي صاحب المكتبة الفاطمية بسور الأزبكية، جاءت مشتاقة للكتب بعد عامين من توقف المعرض. وعلى بسطة كتبه تنوع الزبائن من الكبير إلى حرب، يؤكدون على ذلك وعلى استمرار الثورة ثقافيا.

يسقط حكم العسكر في مخيم الإبداع

يسقط يسقط حكم العسكر، هذا الشعار تردد في مخيم الإبداع في افتتاح ندوة لمناقشة رواية طلعة البدن للروائي مسعد أبو فجر. فهذه الرواية الصادرة قبل خمس سنوات وجدت طريقها للنقاش أمام الجمهور للمرة الأولى في هذه الدورة.

وكان الروائي الذي قضى عامين معتقلا في أقبية أجهزة أمن الدولة نتيجة روايته ومشاركته بدو سيناء حركاتهم الاحتجاجية قبل الثورة. وكان مسعد أبو فجر وفيا لما تعنيه مشاركته رمزيا أمام جمهور عادي، حين حول النقاش الأدبي إلى سجال سياسي واسع حول ضرورة تحول مصر من دولة وطنية إلى دولة مواطنة.

وعلى هامش نقاشه مع وجوه إسلامية حضرت ندوته، أكد لدويتشه فيله، أن روايته، التي استعرضت قبل سنوات مفاهيم كالإخلاص والخيانة للدولة الأم، وإساءة نظام مبارك لبدو سيناء عبر تحويلهم إلى جماعة مقموعة متهمة بتجارة السلاح والمخدرات، دفعت هؤلاء البدو في يوم الندوة تحديدا إلى قطع طرق وسط سيناء مطالبين لأول مرة في تاريخهم بنصيب في ثروات البترول.

كما أن الحديث عن يوم الاحتفال أو تمديد الثورة كان حاضرا في جلسات نقاش المقهى الثقافي، حيث اختلط المثقفون بالسياسيين خارج الميدان لأول مرة منذ فترة طويلة، وبين من كان يتابع لحظة بلحظة عبر شبكات التواصل الاجتماعي وقائع الجلسة الافتتاحية للبرلمان، ومتابعين لأجواء التظاهرات التي انطلقت لتوصيل مطالب الثورة إلى البرلمان، فيما أجمع الكل على أن المعرض سيتحول إلى خلية نشاط سياسي مضاعفة حال نجاح كل الأطراف في تمرير يوم الاحتفال بسلام

آفاق

■ سعد محمد رحيم

العولمة والديمقراطية والإرهاب

من أكثر القضايا التي شغلت الكتّاب والمفكرين في العالم طوال معظم سنوات القرن العشرين هي تلك التي تتعلق بالصراع الطبقي والإشتراكية والرأسمالية والفاشية والحرب الباردة وحركات التحرر الوطني والاستعمار والاستقلال، الخ. إلا أن الأمر اختلف بدءاً من تسعينيات ذلك القرن حين بدأ الاهتمام يأخذ منحى آخر تحت تأثير تحولات عاصفة غيّرت من الخريطة الجيوسياسية لقارات الأرض، لاسيما بعد انهيار المنظومة الاشتراكية وتفرد الولايات المتحدة وحلفائها باتخاذ القرارات المصيرية التي تخص حياة البشر في كل مكان، واتساع الفجوة بين المجتمعات، وصعود الأصوليات وانتعاشها، واستفحال ظاهرة العنف، في موازاة تقدم تقني مذهل في مجالات الإعلام والاتصال، وتأسيس نمط مغاير من العلاقات في حقول السياسة والاقتصاد. وهذا كله أدى إلى إنشاء قاموس يحوي مفاهيم ومصطلحات (بعضها جديد وبعضها اكتسب دلالات غير تلك التي عُرف بها) هيمنت على لغة الفكر و الثقافة والإعلام والعلوم الإنسانية.. هذا بعض مما يناقشه إيريك هوبزباوم في كتابه (العولمة والديمقراطية والإرهاب/ الدار العربية للعلوم ناشرون ومركز الجزيرة للدراسات، بيروت ٢٠٠٩، ترجمة أكرم حمدان ونزهت طيب) وهوبزباوم مفكر ومؤرخ ماركسي شهير له مؤلفات لافتة أهمها (عصر الثورة، وعصر رأس المال، وعصر الإمبراطوريات، وعصر التطرف).

يعتمد هوبزباوم على فرشة واسعة من المعلومات الموثقة الخاصة بظاهرات عصرنا، فضلاً عن ملاحظاته الثاقبة حولها بعدّه شاهداً على زمننا، ومراقباً لكثر من الأحداث الكبرى التي ميزت سنوات ما بعد الحرب العالمية الأولى وحتى يومنا هذا. مخضعاً إياها لتحليل منهجي معمق مستفيداً من خبرته في حقل الدراسات التاريخية، حيث يضع كل ظاهرة و اقعة في سياقها ليسهل عليه فهمها وتقويمها.

في مداخلته عن موضوعتي الحرب والسلم يقر هابزباوم أن القرن العشرين كان الأكثر دموية في تاريخ الإنسانية إذ هلك، خلاله، جراء الحروب وعقابيلها ١٨٧ مليوناً من البشر. وقبل هذا القرن كان الفرق بين الحرب و السلم جلياً، لكن بعد العقد الثاني من القرن المذكور غدا الخط الفاصل بين النزاعات الدولية و الأهلية مشوشاً، و أصبح شائعاً تدخل الدول القوية في شؤون الغير. كما "لم يعد ثمة تمييز واضح بين السلم و الحرب، فباستثناء بعض المناطق هنا وهناك، فإن الحرب العالمية الثانية لم تبدأ بإعلان للحرب و لا هي انتهت باتفاقيات سلام". في الوقت الذي غاب فيه أي سلطة مقتدرة، حسنة النية، "بوسعها السيطرة على الخلافات المسلحة، أو إيجاد حلول لها ناجعة". حيث بقيت الدول الإقليمية/ القومية هي السلطة الوحيدة في إقرار المسائل السياسية و العسكرية. على الرغم من أن هذه الدول فقدت "احتكارها التقليدي للقوة المسلحة، وكثيراً مما كانت تنعم به من بأس و استقرار، كما فقدت على نحو متزايد المعنى الأساسي للشرعية". فراحت تتشكل، بالمقابل، جماعات خاصة (عصابات وميليشيات) بمقدورها الحصول على الآلة الحربية، وقنوات التمويل غير الدولية، لتصبح منافسة لسلطة الدول، تنازعها في محاولات الاستحواذ على مصادر الثروة ومناطق النفوذ.

يخلق رصد هوبزباوم لتسارع خطى التاريخ، أي حركة التغيير المخيفة في حياة البشر، لديه هاجس الخشية على مصير النوع الإنساني والبيئة، إلى الحد الذي بتنا فيه "لا ندري إلى أين نحن ماضون". فيما نظام السوق الحرة المعولم لا يمكن ضبطه، وهو الذي أفضى إلى حصول اختلالات حادة في العلاقات بين الدول، ومن ثم تفاوتات تتسع يوماً بعد آخر لتكون "حواضن طبيعية للظلم والاضطرابات". وإذا كان انتهاء الحرب الباردة قد هيأ للولايات المتحدة فرصة أن تكون الدولة العظمى الوحيدة في العالم، فإن "السياسة العالمية الأمريكية موجهة نحو الداخل وليس الخارج، مهما كان تأثيرها على بقية العالم عظيماً ومكلفاً. فالولايات المتحدة ليست مصممة لتنتج إمبراطورية و لا هيمنة فعالة". بحسب هوبزباوم الذي يرى أن هذا الأمر لا يقلل من خطورة أمريكا، بل على العكس، طالما كانت تنشر الضبابية و الاضطرابات و العدوان، كونها "قوة غير عقلانية وخارجة عن السيطرة". لكن المشروع الأمريكي لإحياء نموذج إمبراطوري للقرن الواحد والعشرين، بحسب هوبزباوم، مصيره الإخفاق في النهاية.

إصدارات دار المدى للثقافة والنشر

كوابيس أبو الفوز استقراء المستقبل روائياً!

بعد سقوط النظام الدكتاتوري ٢٠٠٣، تمكن الكاتب يوسف أبو الفوز ، من العودة وزيارة وطنه الذي أضطر لمغادرته صيف عام ١٩٧٩ لأسباب سياسية ، حيث ومنذ مطلع ١٩٨٢ شارك في فصائل الكفاح المسلح (قوات الأنصار للحزب الشيوعي العراقي) المقاومة لنظام صدام حسين حتى حملات الأنفال ١٩٨٨ ، ثم دار بين العديد من الدول العربية والأوربية، بحثا عن سقف آمن حتى استقر به المقام في فنلندا مطلع عام ١٩٩٥ . في زيارته وكانت الأولى من بعد غياب ٢٧ عاما ، كان لنا لقاء في مكاتب صحيفة المدى، ومنه سمعت أفكارا عن مشاريع ونشاطات، وصارت اللقاءات تتجدد عند كل زيارة، ومعها تتجدد الأفكار والمشاريع. صدرت له مؤخرا، عن دار المدى، رواية جديدة تحت عنوان "كوابيس هلسنكي".

رغم أن العنوان يقود إلى عاصمة دولة أوربية ، إلا انه يمكن القول أنها كوابيس عراقية بامتياز ، فالرواية تحاول أن تسلط الضوء على تجارب مواطنين عراقيين ، مقيمين في بلد أوربي، هنا هو فنلندا، مهمومين بموضوعة العنف والإرهاب وارتباطه بالتطرف الديني والسياسي، وشخوص الرواية العراقيين يعكسون تجاربهم ومعاناتهم مع عسف النظام الدكتاتوري السابق وفترة الاحتلال الأميركي وما نتج عن ذلك. الكوابيس تتجاوز معناها الحرفي كأحلام مزعجة إلى واقع مرير وحقائق مرعبة تتحدث عنها الرواية، إذ تجتهد لتسليط الضوء على أساليب دعم الجماعات المتأسلمة التكفيرية الناشطة في أوربا لدورة العنف الطائفي في العراق، وتحاول أن تحذر من مخاطر هذه الجماعات المتطرفة على الحياة المسالمة في بلد أوربي مثل فنلندا! والرواية إلى حد ما حاولت أن تكون أمينة لإحدى مهام الادب في استقراء المستقبل ونتائج بروز التشدد والتطرف السياسي والديني في أوربا ، فهي تطلق صرخة تحذير من أن أسباب العنف والإرهاب اجتماعية واقتصادية قبل أن تكون دينية، وهي كامنة ويمكن أن تنفجر في أي حين عند توفر الظروف المناسبة، وهكذا فالرواية تحدثت عن أعمال عنف سبق وحصلت في فرنسا وفنلندا وحذرت من احتمال تجددها في أي مكان من أوربا، وحصل ذلك في لندن والنرويج مؤخرا، والرواية أيضا تربط بشكل مباشر الأحداث بما يحصل في العراق، ونشاط المنظمات التكفيرية في التجنيد والتمويل والتدريب والإسناد، يقول أبو الفوز عن موضوع روايته: خلال عملية البحث والإعداد لكتابة الرواية تبين أن الجماعات التكفيرية نشطة في أوربا بشكل مخيف، فدوائر الاستخبارات الأوربية مثلا تؤكد رسميا وجود أكثر من ٨٠٠ عنصر من أعضاء الخلايا النائمة لهذه الجماعات ، وبحكم إقامتي في فنلندا فالسؤال الذي ورد في البال هو عن حصة فنلندا من هذا الرقم ؟ وما هي خطط هذه العناصر، مهما كان عددها، وأي اهداف سيختارون في هذا البلد المسالم المرمي عند حافة القطب؟ وما هي العوامل التي ستجعلهم يستيقظون من سباتهم ليوجهوا ضرباتهم الإرهابية ؟ وأسئلة عديدة أخرى ، وفي محاولة للبحث عن أجوبة مناسبة قدمت الرواية عالما متخيلا ، رسمت فيه شبكة علاقات ونشاطات لمجموعة إرهابية تخطط لهجوم إرهابي في فنلندا ، وتدعم الأعمال الإرهابية في العراق وتحدثت عن آليات عمل هذه الجماعات . حصل انه بعد دفع الرواية للنشر نهاية عام ٢٠٠٨ ، حصلت العديد من الأحداث التي أكدت ما ذهبت إليه الرواية وحاولت استقراءه ، ففي خريف عام ٢٠١٠ حصلت محاولة التفجير الإرهابي وسط العاصمة السويدية ستوكهولم ، وفي فنلندا تم الإعلان عن اعتقال أشخاص بتهمة دعم الإرهاب تمويلا ومحاولات تجنيد عناصر وسياسيا صعد اليمين المتطرف الفنلندي إلى واجهة التأثير في القرار السياسي ، وأحداث عديدة أخرى .

تطلب من مكتبة المدى وفروعها: بغداد - شارع السعدون - قرب نفق التحرير .. بغداد - شارع المتنبي - فوق مقهى الشابندر .. اربيل - شارع برايه تي - قرب كوك

نائب رئيس التحرير | عدنان حسين تحرير | علاء المفرجي الاخراج الفني | مصطفى التميمي التصحيح اللغوي | مصطفى محمد حامد

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون